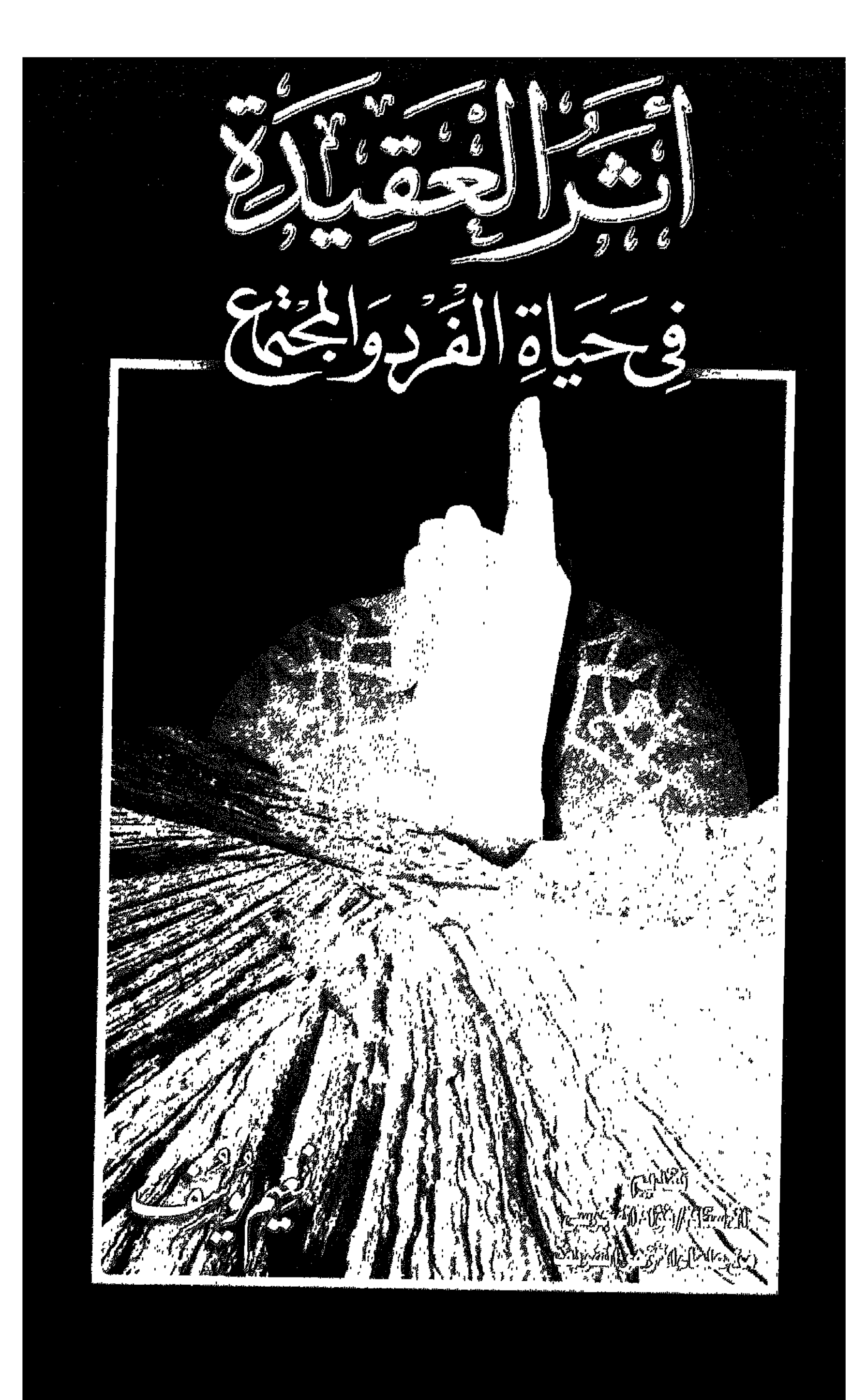


أثر العقيدة
في حياة الفرد والمجتمع



نعيم يوسف

تقديم

الأستاذ / فؤاد الهجرسي

من علماء الأزهر الشريف

دار المنارة

للنشر والتوزيع والترجمة

المنصورة ص.ب ٣٥٧٢٨ ت: ٢٨٤٢٥٤

ف: ٣١٠٥٠١ / ٠٠٢٠٥٠ محمول / ٠١٢٣٦٠٥٠٤٩

الطبعة الاولى
١٤٢١هـ / ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

العقيدة الصحيحة واليقين السليم ، فى قلب المؤمن ، أكرم الصلات بين العبد وربه ؛ لأن صاحب العقيدة الصحيحة فى حالة وصال دائم معه سبحانه وتعالى ، فهو عابد له فى كل أحواله ، متبتل بين يديه فى كل أفعاله .

ولا تكمن العقيدة الصحيحة إلا فى قلوب العارفين بالله ، فيرفع قدرهم درجات فوق العالمين ؛ ذلك . . لأن أشرف الخلائق طُرًّا هو الإنسان ، وأشرف ما فى الإنسان قلبه ، وأشرف خلجات القلب نبض الإيمان بفيض العقيدة . . فماذا بعد ذلك ؟

وعلى هذا . . فمن هُدى للعقيدة الصحيحة ، أحرز الإيمان الكامل ، فأحرز أجلَّ نعم الله تعالى وأفضل آلائه . . . ﴿. . . وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات : ٧]، فالإيمان نعمة للقلب ، وصحيح العقيدة مستراح للنفس ، وبذلك تصدر من القلب إشعاعات النور لتمتلئ الحياة بصالح الأعمال وأكملِ التصرفات ، ومن قوة الإيمان يزداد التمسك بوحى الله تعالى ، ويزداد الحب بين الناس ، ويزداد التعلق بالإسلام ، وتأتى سمة التجرد ، فلا يتعلق

القلب بأى شيء ، سواء التجارة أو الأهل أو الولد ، ويأتى إخلاص لله تعالى ، واقرأ إن شئت قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات : ١٥] تفهم من ذلك وجود الإيمان الكامل بالله تعالى ، وانعدام الشك أو الريب فى ذلك ، والاستعداد لبذل النفس والمال رخيصة فى سبيل الله تعالى .

وناتج العقيدة الصحيحة والإيمان الكامل أن يخش المؤمن الله ، وألا يخش أحدا سواه ؛ لأنه مطمئن على عمره فأجله بيد الله وحده، مطمئن لمجازاة الله له ، سواء فى الدنيا أو فى الآخرة ، فالمكافئ على المعروف هو الله سبحانه وتعالى ، ولا يُضيع الله أجر من أحسن عملا . والنبع الصافى لذلك مازال بين أيدينا قرآنا يتلى ، وعبادة خالصة ، وأعمالا صالحة ، وذكرا لله تعالى ، مع ترك الغفلة عنه تعالى : ﴿ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] . واليقين بقرب الله فى كل الأحوال مادام العبد قريبا منه ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ١٨٦].

أخى القارئ لهذا السفر الجيد . . مالى أتردد وأدور بين معانى أداها الكاتب أوفى أداء ، وهذا هو بين يديك تُشع منه المعرفة تراها من خلال شعاعات نورانية سلطها الأخ الفاضل الأستاذ / نعيم يوسف ، وقد تجول فى مباحثه الثلاث بين العقيدة وأثرها وسمات

رجل العقيدة ، وحاول في ذكاء أن يعرِّف برجل العقيدة الذى ننشده، فكان حاضر البديهة ، صافى العبارة فيّاضًا بالخير الذى احتواه قلبه الكريم. فجزاه الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء وأوفاه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

فؤاد الهجرسى

من علماء الأزهر الشريف

الإهداء

إلى الجماهير الضاربة فى أعماق التيه لعلها تستيقظ وتتحرك .

إلى الذين ينشدون التحرر فى كل أرض وتحت كل سماء .

إلى الذين أبوا إلا أن يعيشوا أحراراً مرفوعة رؤوسهم نحو السماء .

إلى الذين حملوا العقيدة بين جوارحهم فاستعذبوا العذاب .

إلى الذين تغلغل الإيمان فى قلوبهم فجعل منهم رجالاً يأبون العيش الذليل .

إلى هؤلاء جميعاً أهدى هذا الكتاب .

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ،من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

فهذه الرسالة ما هى إلا خواطر وهمسات فى مجال العقيدة ، تعرضت فيها للتعريف بها وبيان خصائصها ومزاياها ، ثم عرجت على بعض سمات رجل العقيدة،ثم أوضحت أثر هذه العقيدة فى حياة الفرد والمجتمع ، ثم ختمتها ببيان حاجة الأمة إلى رجال العقيدة لتستعيد مجدها وكرامتها .

والله أسأل أن ينفع بها إخوانى من شباب الدعوة وطلبة العلم ؛

وما كان فيها من خير فمن الله وحده لا شريك له ،وما كان فيها من مجانبة الصواب فمن نفسى الظالمة ومن الشيطان الرجيم .

وفى الله رجائى وإلى الله سؤالى أن يتقبل بضاعتى المزجاة ، وعملى الفقير ، وأن يتجاوز عن غفلتى وخروجى ، وأن يتداركنى برحمة منه لست حقيقا بظلالها ، بأنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

وكتبه

أبو محمود

المبحث الأول

* دلالة الفطرة على وحدانية الله .

* ماهية العقيدة .

* خصائص هذه العقيدة .

أولاً: دلالة الفطرة على وحدانية الله

النفس البشرية حصن أحكمت أقفاله ، ولغز معقد أتعب العقول وحير الفلاسفة منذ أقدم العصور ، وما زالت أقفال هذا الحصن عصبية لا تلين ، وطلاسم هذا اللغز متأبية لا تحل . ولقد بُذلت فى العصر الحديث جهود كبيرة ، واهتمت المدنية الحديثة بعلم النفس اهتماماً بالغاً ، وأنشئت له المعاهد ، وألفت الكتب ، حتى ظن الناس أنهم وصلوا إلى معرفة النفس وفهم أسرارها وعقدها ثم تبين لهم أن هذه النظريات والآراء ما زالت محاولات فى أول الطريق ، ولم تصل بعد إلى المعرفة الصحيحة للنفس .

لكن منهج القرآن الكريم مع النفس البشرية هو منهج العليم بأسرارها ، الخبير بما يفسدها أو يزكيها ، المطلع على مواطن القوة والضعف فيها ﴿ **وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك : ١٣ ، ١٤] ، وعملُ القرآن الأول فى سبيل تربية النفس هو ردها إلى فطرتها السليمة ، وتخليصها مما علق بها من أوساخ الوراثة والبيئة وخرافات العرف والتقليد . وأساس هذه الفطرة هو « التوحيد » ؛ فقد جُبلت النفس

على معرفة ربها ،وقد تحجبها الغفلة والبيئة والتقليد ، لكن جذور هذه المعرفة عميقة فى النفس ولا سبيل لإنكارها ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُون ﴾ [الأعراف : ١٧٢، ١٧٣]، ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون ﴾ [الروم : ٣٠] .

دليل الفطرة :

ودليل هذه الفطرة أن الإنسان بطبعه يحس بالحاجة إلى القوة المعينة ، والإشراقة الهادية ، والسكينة المطمئنة ـ خاصة إذا ضاقت به السبل ، وغلقت الأبواب فى وجهه ـ يحتاج إليها فيدعوها مخلصاً ويسألها المخرج والنجاة ، ولذلك فإن المريض الذى برح به المرض والألم ، وراكب البحر الذى أشرف على الهلاك ،والأم التى يئست من شفاء وحيدها ،حين تتقطع بهم أسباب الأرض يتوجهون بفطرتهم إلى الله ، لا يتضرعون إلا له ، ولا يدعون أحداً سواه ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاه ﴾ [الإسراء : ٦٧] .

« وقد سأل رجل جعفر الصادق عن الله فسأله جعفر: ألم تركب البحر ؟ قال : بلى . . . فقال جعفر : هل هاجت بكم الريح عاصفة ؟ . . . قال : نعم. فقال جعفر: فهل خطر ببالك أو انقدح فى

نفسك أن هناك من يستطيع أن ينقذك إن شاء؟ . . . قال: نعم . . . قال جعفر : فذلك هو « الله » . وإبراهيم عليه السلام قبل بعثته كان سليم الفطرة ، مرهف الحس ، نافذ البصيرة ، كبير العقل، نشأ بين قوم يعبدون الأصنام ، فأنكرت فطرته هذا الضلال ، وأخذ يبحث عن الله حتى عرفه ، ولذلك جعله القرآن مثلا لأصحاب الفطرة السليمة التى لم تدنس ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ . فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٥ ـ ٧٩] .

وهكذا نرى أن العقيدة فى الله ليست ترفاً فى التفكير ، ولا حاشية على هامش الحياة ،ولا مظهراً من مظاهر الخوف أو الضعف، إنما هى فطرة الله التى فطر الناس عليها ،وسنة باقية من سنن الله ، والهدف الأول لكل رسالة ، والدعوة التى دعا إليها جميع الرسل والأنبياء ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون ﴾ [الأنبياء :٢٥] . وهى الضابط الأمين الذى يحكم التصرفات ويوجه السلوك؛ لذلك عنى القرآن ببناء العقيدة ، فلا تكاد تخلو سورة ـ مكية كانت أو مدنية ـ من شد الإنسان بكليته إلى ربه وربط كل تصرف بهذه العقيدة التى تمثل القاعدة الأساسية لهذا الدين الذى

لا يقوم بدونها وبخاصة السور المكية التى أفردت لبناء هذه العقيدة حيث كانت هى الموضوع الوحيد الذى عالجته » (١) .

وعليه فلابد من الفهم الصحيح لهذه العقيدة التى أنجبت رجالاً أعادوا للإسلام عزته وكرامته فكانت له دولة وصولة .

---

(١) منهج القرآن فى التربية ص ٦٠ ـ ٦٣ بتصرف : محمد شديد .

ثانياً : ماهية العقيدة

العقيدة لغة :

فعيلة ، من عقد بمعنى معقودة ، وعقد البيع والحبل والعهد، يعقده : شده ، والعقد : العهد(١) . فكأن العقيدة هي العهد المشدود والعروة الوثقى ؛ وذلك لاستقرارها فى النفس ورسوخها فى الأعماق.

العقيدة شرعاً :

تعنى : الإيمان بأركانه الستة، كما جاء في الحديث الذى رواه عمر بن الخطاب ﷺ حيث سأل جبريل رسول الله ﷺ « . . . . . قال: يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » (٢) .

وأما الشهادتان « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فهما القاعدة الأساسية والأولى التى يقوم عليها صرح هذا الدين ؛ وهما الطريق الوحيد الذى يوصل صاحبه إلى دار السلام ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥ ، ١٦] .

---

(١) القاموس المحيط مادة « عقد » .

(٢) مسلم : في الإيمان (٨ / ١) .

وهذه القاعدة « لا إله إلا الله » تعنى فى أبسط الأمور أن هذا الكون منبثق عن إرادة هذا الإله الواحد، بأمره يسير، وبقدره تدبر أموره، وكل مخلوق من مخلوقاته أمره بيده ،لا يخرج عن إرادته ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى . الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ١ ـ ٣] .

وعليه فإن كل مخلوق فى هذا الكون جندى من جنود الله يُؤمر فيطيع ويُدعى فيلبى ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣] ، ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] .فالسموات والأرض وما فيهن جنود مطيعة لرب العالمين ، ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ [الروم:٢٦] . أى مطيعون خاشعون ، ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء : ٤٤] ، ولذا فالجبال والماء والأرض والسماء كلها مخلوقات لله ، وجند من جنوده ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح : ٤] (١) .

والعقيدة تعنى أيضاً : أن يعتقد المؤمن من أعماق قلبه وقرارة وجدانه أن الله هو الرزاق وأن ما بسطه الله على عبد لم يكن لأحد أن يمنعه، وأن ما أمسكه عنه لم يكن لأحد أن يعطيه إياه وأن نفساً لن

(١) العقيدة وأثرها فى بناء الجيل ص ١٣ : د / عبد الله عزام .

تموت حتى تستوفى رزقها وأجلها ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ [هود : ٦] ، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٣٠] .

وأن يعتقد المؤمن من قرارة وجدانه أن الآجال كلها بيد الله ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، وإن اجتمعت على أن يضروه بشيء لن يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة :٥١] ، ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف :٣٤] .

وأن يعتقد المؤمن من أعماق أحاسيسه أن الله يسمعه ويراه ويعلم سره ونجواه ،ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ...... ﴾ [المجادلة :٧] .

وهذه العقيدة عندما تستقر فى النفوس تصبح عزيزة فلا تزل ، تقف أمام كل قوى الأرض لا ترهب سلطاناً ، ترفع صاحبها من أوحال الأرض ومستنقع الطين فيقف فى المرتقى السامى ينظر إلى الأرض من علو مع التواضع وبعزة مع المحبة دون استطالة ولا بغى على الناس .

وبهذه العقيدة أضحى الرعيل الأول من الصحب الكرام يعيشون بحسهم وأرواحهم فى الآخرة مع أن أجسادهم تدب على هذه الأرض، يتحركون فوق هذه المعمورة مع أن أنظارهم مشدودة بقوة إلى الجنة وإلى الحساب ،ولعل قصة سيدنا حارثة مع رسول الله ﷺ خير دليل على ذلك ، فلقد مر على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ :« كيف أصبحت يا حارثة ؟ » قال : أصبحت مؤمناً حقا . قال: « انظر ما تقول فإن لكل شىء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ » فقال : عزفت نفسى عن الدنيا،فأسهرت ليلى،وأظمأت نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً ،وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها .فقال : « يا حارث : عرفت فالزم » ثلاثاً (١) .

---

(١) الطبرانى : فى الكبير ٣ / ٢٦٦ (٣٣٦٧) ، وقال الهيثمى فى المجمع ١ / ٦٢ : « وفيه ابن لهيعة، وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه » .

ثالثاً : خصائص العقيدة

إن عقيدة التوحيد لها من الخصائص والمزايا التى لا تتوافر لغيرها من العقائد ، ومن هذه الخصائص أنها :

١ـ ربانية من عند الله :

وهذا يطمئن النفس أنها خير لأنفسنا ، وأن السعادة تكمن فى تنفيذها وأن الشقاء يترتب على تركها ،وعليه فالخير والبركة ووفرة الإنتاج كلها من بركات تطبيق الشريعة المبنية على هذه العقيدة ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف :٩٦] .

وما دامت هذه العقيدة ربانية من عند الله عز وجل فإنها مبرأة من النقص ، سالمة من العيب ، بعيدة عن الحيف والظلم ، لأن الله له المثل الأعلى فى السموات والأرض ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد :٢٤] .

وما دامت هذه العقيدة ربانية من عند الله فالناس أمامها سواء ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، فالله خالق الناس أجمعين وكلهم عبيده ، وهو لا يفضل لوناً على لون ، ولا يفضل الرجال

على النساء ، ولا يفضل طبقة على طبقة ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام :١١٥] .

٢ـ عقيدة ثابتة :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠] .

وثبات العقيدة ناتج عن أنها منزلة من عند الله ، وقد انقطع الوحى بالتحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى وبقيت النصوص ثابتة إلى يوم الدين، لا ينسخها ناسخ ولا يبدلها إلا كافر .

وثبات العقيدة يجعل الناس جميعاً تحت ظل الدستور والحكم وليس هناك حاكم فوق القانون ومحكوم تحت القانون ، ونظام يسرى على الحاكم ونظام يسرى على المحكوم . فالله ـ سبحانه ـ هو الذى ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء :٢٣] ، أما الخليفة والأمير والحاكم ـ وهم جميعاً خلق الله ـ فهم عبيد وليسوا آلهة لا يُسألون . والواقع التاريخى يدل على هذا ؛ فهذا يهودى يشتكى الخليفة على رضي الله عنه إلى القاضى شريح بشأن درعه ، فيحكم شريح لليهودى بالدرع (١) .

(١) العقيدة وأثرها فى بناء الجيل ص٥١ وما بعدها بتصرف د / عبد الله عزام.

٣ ـ عقيدة واضحة :

لا تعقيد فيها ولا غموض ، وتتلخص فى أن ما وراء هذا العالم البديع المنسق المحكم رباً واحداً خلقه ونظمه،وقدر كل شىء فيه تقديراً ،وهذا الرب ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ [البقرة :١١٦] .

فليس فى عقيدة التوحيد ما فى عقائد التثليث أو غيرها من الغموض أو التعقيد الذى يعتمد دائماً على الكلمة المأثورة عند غير المسلمين « اعتقد وأنت أعمى » (١) .

٤ ـ عقيدة وسط :

لا تجد فيها إفراطاً ولا تفريطاً ، فهى وسط بين الذين ينكرون كل ما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه حواسهم ، وبين الذين يثبتون للعالم أكثر من إله ، فقد رفضت هذه العقيدة الإنكار الملحد ، كما رفضت التعديد الجاهل ،وأثبتت للعالم إلهاً واحداً لا إله إلا هو ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ . قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون :٨٤ ـ ٨٩] (٢).

(١) الإيمان والحياة ص ٤٣ : د/ يوسف القرضاوى .

(٢) المصدر السابق ص ٤٥ .

٥ ـ عقيدة تقدم الدليل :

لا تقول لك: اعتقد وأنت أعمى، أو آمن ثم اعلم، أو أغمض عينيك ثم اتبعنى ، بل تقول بصراحة : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] ، ففى قضية البعث يدلل عليها بما كان من خلق الإنسان أول مرة ـ قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم ﴾ [يس : ٧٨ ، ٧٩](١).

٦ ـ عقيدة الفطرة :

فهى ليست غريبة عن الفطرة ولا مناقضة لها ، بل هى منطبقة عليها انطباق المفتاح المحدد على قفله المحكم ، وهذا هو صريح القرآن ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون ﴾ [الروم : ٣٠]. وصرح الحديث النبوى : « كل مولود يولد على الفطرة ـ أى على الإسلام ـ وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » (٢) . فدل ذلك على أن الإسلام هو فطرة الله ، فلا يحتاج إلى تأثير من الأبوين .

أما الأديان الأخرى من يهودية ونصرانية ومجوسية فهى من تلقين الآباء (٣) .

---

(١) العقيدة جوهرها ص٤٠ ، ٤١ محمد عبد الله الخطيب .

(٢) البخارى : فى الجنائز (١٣٨٥) ، ومسلم : فى القدر (٢٦٥٨/ ٢٢) .

(٣) الإيمان والحياة ص ٤٣ : د / القرضاوى .

المبحث الثانى

من سمات رجل العقيدة

* أن يكون مخلصاً لربه .
* أن يكون متجرداً لدعوته .
* أن يكون وفيا لعهده مع الله .
* أن يكون ثابتاً على طريق الدعوة .
* أن يكون واثقاً بالله وبنصره .

أولاً : أن يكون مخلصاً لربه

معنى الإخلاص :

« هو قوة إيمانية يدفع صاحبه بعد جذب وشد إلى أن يتجرد من المصالح الشخصية ويترفع عن الغايات الذاتية ، وأن يقصد من عمله وجه الله تعالى لا يبغى من ورائه جزاءً ولا شكوراً » (١) .

يقول الإمام البنا ـ رحمه الله ـ :« وأريد بالإخلاص : أن يقصد الأخ بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله ، وابتغاء مرضاته ، وحسن مثوبته ، من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب ، أو تقدم أو تأخر ، وبذلك يكون جندى فكرة وعقيدة ، لا جندى غرض ومنفعة » (٢) .

والإخلاص بمعنى الصفاء واستخلاص الشوائب ، فإذا صفا الشيء وخلص من شوائبه يسمى خالصاً ،قال تعالى : ﴿ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾ [النحل : ٦٦] .

والحقيقة : أن الإخلاص هو ثمرة الإيمان بعقيدة التوحيد وإفراد الله بالعبادة ، والرجاء فى ثواب الله يحتم النية الخالصة لله فلا

(١) صفات الداعية النفسية ص ١٢ : د / عبد الله ناصح علوان .

(٢) الرسائل ص ٢٧١ .

يقصد غير وجه الله ، ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

ضرورة الإخلاص :

والله سبحانه يدعونا إلى ضرورة الإخلاص ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴾ [الزمر: ١٤] ، ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين ﴾ [البينة :٥] ، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام :١٦٢، ١٦٣] . والرسول ﷺ يوجهنا إلى ضرورة الإخلاص فيقول : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ،ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » (١) .

لذلك وجب على رجل العقيدة دوام مراجعة نفسه والاطمئنان على إخلاصه؛ فالشيطان لا يهدأ ويحاول دائماً أن يفسد النوايا ليحبط العمل ويضيع الأجر والثواب ، ووجب عليه أن يكون حذراً من الرياء وفتنة الشهرة والصيت. ولخطورة هذا الأمر نسوق حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه:« إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة ثلاثة : رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت .قال : كذبت ، ولكنك

---

(١) البخارى : فى بدء الوحى (١) ،ومسلم: فى الإمارة (١٩٠٧/ ١٥٥) .

قاتلت لأن يقال: جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت فيك العلم وقرأت فيك القرآن . قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال: قارئ فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار »[(١)]. فصاحب العقيدة هو الجندى المجهول الذى لا يحرص على نجاح العمل بقدر ما يحرص على القبول .

وصاحب العقيدة تعلو درجته بصدق التوجه إلى الله والتوارى عن أعين الخلق ليراه الله وحده لأن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا .وهذا عمر رضي الله عنه لا يستنكف أن يسأل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ويقول له : أستحلفك بالله هل ترى فىّ نفاق ؟

إن بحار الأرض لا تطفئ غضب الله ولكن دمعة المخلص فى خلوة تطفئه ، فليكن لرجل العقيدة مع الله ساعات يناجى فيها ربه ويبكى على خطيئته ،وليقم من نفسه ميزاناً يحاسب بها نفسه قبل أن

---

(١) مسلم : فى الإمارة (١٩٠٥/١٥٢) .

يحاسب ، ويزنها به قبل أن يوزن .

علامات الإخلاص :

١ ـ أن يهتم صاحب العقيدة بنظر الخالق ،لا بنظر المخلوقين ؛ لأنهم لن يغنوا عنه من الله شيئاً ،وليكن شعاره :

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذى بينى وبينك عامر ... وبينى وبين العالمين خرابُ
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذى فوق التراب ترابُ

٢ ـ أن يتهم نفسه بالتقصير دائما ويخشى من سيئاته ويخاف ألا تقبل حسناته ، وقد سألت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عمن يصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦٠]،أهم الذين يسرقون ويزنون ويشربون الخمر وهم يخافون الله عز وجل ؟فقال:« لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم : ﴿ أُوْلَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ » [المؤمنون : ٦١] (١) .

ولقد بكى أحد الصالحين فى مرضه بكاءً شديداً ، فقال بعض

(١) الترمذى : فى التفسير (٣١٧٥) ،وابن ماجه : فى الزهد (٤١٩٨) ، وأحمد (١٥٩/٦ ، ٢٠٥) .

عُوّاده : كيف تبكى وأنت قد صمت وقمت وجاهدت وحججت واعتمرت وعلّمت وذكّرت ؟! فقال : وما يدرينى أن شيئاً منها فى ميزانى ، وأنها مقبولة عند ربى ؟ والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧] . وهكذا فليتهم صاحب العقيدة نفسه دائماً، ولا يرضى عنها مطلقاً ، ولو رضى عنها فستورده المهالك .

٣ ـ وأن يحب العمل الصامت البعيد عن الأضواء ، وأن يعمل على إخفاء طاعاته ، وأن يؤثر أن يكون من الجماعة كالجذر بالنسبة للشجرة ، به قوامها وحياتها ولكنه مستور فى باطن الأرض لا تراه العيون، أو كالأساس من البناء لولاه ما ارتفع البناء ، ولا قام بيت ولا أظل سقف ، ولكن أحداً لا يراه كما يرى الجدران والشرفات .

وينبغى لصاحب العقيدة أن يستوى عنده العمل قائداً أو جندياً فى آخر الصفوف ، مادام فى كلا الموقعين إرضاء لله تعالى ، وصدق رسول الله ﷺ حين قال : « طوبى لعبدٍ آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه ، مغبرٌ قدماه ،إن كانَ فى الساقة كان فى الساقة، وإن كان فى الحراسة كان فى الحراسة » [1] . ورحم الله خالد بن الوليد رضي الله عنه الذى عُزل عن قيادة الجيش وهو القائد المظفر فعمل تحت قيادة أبى عبيدة رضي الله عنه دون تذمر أو تململ وكان نعم المعين والمشير .

---

(١) البخارى : فى الجهاد (٢٨٨٧) .

نموذج من السيرة :

صاحب النقب :

حاصر « مسلمة » حصناً فاستعصى عليه بعض الوقت ، فندب الناس إلى نقب منه فما دخله أحد ، وإذا برجل ملثم يأتى من عرض الجيش، فدخل النقب، وفتح باب الحصن أمام جيش مسلمة، فتدافعوا داخله ، وفتح الله عليهم بفضل جهود هذا الجندى المجهول ، وبعد استقرار الأمور ، نادى مسلمة : أين صاحب النقب لنكافئه ؟ فلم يقدم أحد نفسه ! فنادى مسلمة فى الناس : إنى قد أمرت الآذن (الحاجب) بإدخاله ساعة أن يأتى ، ولقد عزمت عليه إلا جاء . . . وتحت ستار الليل ، جاء رجل ملثم إلى الحاجب ، وقال : استأذن لى بالدخول على الأمير . فقال له : أنت صاحب النقب ؟ قال : أنا أخبركم عنه . . ! وأذن الأمير مسلمة لدخوله ، فلما مَثُلَ بين يديه ، قال : إن صاحب النقب يأخذ عليكم شروطاً ثلاثة ، فإن وفيتم له بها ، كشف لكم عن مكانه ، وشروطه هى :

أ ـ ألا تسودوا اسمه فى صحيفة إلى الخليفة .

ب ـ ولا تأمروا له بشىء .

جـ ـ ولا تسألوه من هو ؟ أو ممن هو ؟

قال مسلمة : فذاك له . فقال الرجل الملثم : أنا هو . . . ثم

سلم وانصرف ؛ ومسلمة فاغراً فاه ، دهش . . ! وكان مسلمة لا يصلى بعدها صلاة إلا ويقول: اللهم اجعلنى مع صاحب النقب [١]. وهكذا يجب أن يكون رجل العقيدة .

أمور تعين على الإخلاص :

لكى يصل صاحب العقيدة إلى هذه المرتبة العالية فإن هناك أموراً تعينه على المضى فى هذا الطريق . ومن هذه المعينات :

١ ـ الاستعانة بالله تعالى :

فمنه وحده العون ، وبيده التوفيق ، وإليه يرجع الأمر كله ، وليس أمام الإنسان إلا باب الله تعالى ، يطرقه بالدعاء ، ويسأله من فضله وهو أهل الإجابة ، وبدون توفيق الله لن يصل رجل العقيدة إلى شىء مما يرنو إليه .

فإذا لم يعنك الله فيما تريده
فليس لمخلوق إليك سبيل
وإذا هو لم يرشدك فى كل مسلك
ضللت ولو أن السماء دليل

والأمثلة على ذلك كثيرة :

فهذا سيدنا يوسف عليه السلام وقد تحقق بمعانى العبودية لله، تراه يناجى

(١) الدعوة قواعد وأصول ص ٤٨ ، ٤٩ : جمعه أمين عبد العزيز .

ربه ويستعين به لصرف كيد النسوة عنه، فهو يعلم ضعفه البشرى ، وأنه لو تُرك لنفسه دون عون الله ومدده له فسيصبو إليهن كما قال القرآن على لسانه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف :٣٣] فكانت الاستجابة سريعة ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يوسف : ٣٤].

وفى غزوة بدر كانت الاستغاثة من الرسول ﷺ والصحابة بالله القوى القادر القاهر، من العباد الضعفاء الفقراء الأذلاء فماذا حدث ؟ ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال : ٩] (١) .

٢ ـ محبة أهل الإخلاص ومعايشتهم :

والحياة بين رحابهم ، فإن التأسى بهم صلاح ، والتشبه بهم فلاح .

فليلق صاحب العقيدة بنفسه بين أحضان إخوانه ، يتعلم منهم ، يزكون نفسه ، ويطهرون قلبه ، فمثل الأخوين كمثل اليدين تغسل إحداهما الأخري ، والشيطان من الواحد أقرب ومن الإثنين أبعد ، والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، والجماعة قوة على الطاعة ، وعون على الحماية من المعصية .

---

(١)من ركائز الدعوة ص ٤٧ ، ٤٨ للدكتور مجدى الهلالى .

٣ ـ قراءة سير المخلصين :

للاهتداء بهم واقتفاء أثرهم ، وفى تاريخنا نماذج لا تعد ولا تحصى، ولا يملك من يقرأها إلا أن يتأثر بها ، فلننظر فى سير أقوام عاشوا لله ، فخلد الله ذكرهم فى الدنيا وأعظم منزلتهم عنده فى الآخرة ، ليكون ذلك حافزاً لرجل العقيدة على التشبه بهم والتأسى بأعمالهم .

ورحم الله من قال :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالرجال فلاح

ثانياً : أن يكون متجرداً لدعوته

التجرد لغة :

هو تنقية الشيء من مخالطة غيره، والتجرد للأمر يعني الجد فيه.

وعليه ، فلا بد لصاحب العقيدة أن يجرد نيته لله ، فلا يقدم على أمر ما إلا بعد أن يتأكد من إخلاص نيته لله فيه .

ولا بد لصاحب العقيدة أيضاً أن يجرد مشاعره ووجدانه، فلا يكون ولاءه لقومية ولا وطنية أو عشيرة ، بل لا بد أن يكون لله .

إن هذه العقيدة لا تحتمل في القلب شريكاً ، فإما تجرد لها ، وإما انسلاخ عنها ، وليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشيرة والزوج والولد ، كلا ، إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب ويخلص لها الحب ، فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة على أن يكون مستعداً لنبذها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة .

والقرآن الكريم يوضح لنا كيف تجرد الرعيل الأول من ماديات الحياة من أجل دعوتهم ، يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ [التوبة :٢٨]. مع أن الموسم الاقتصادي الذي ينتظره أهل مكة ، والتجارة التي

يعيش عليها معظم الناس فى الجزيرة، ورحلة الشتاء والصيف التى تكاد تقوم عليها الحياة، كلها ستتعرض للضياع بمنع المشركين من الحج.

ولكنها العقيدة ، والله يريد أن تخلص القلوب كلها للعقيدة ، وبعد ذلك فالله هو المتكفل بأمر الرزق من وراء الأسباب المعهودة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [التوبة : ٢٨] . كما يوضح لنا كتاب الله ما يجب على المؤمن من التجرد من حظ نفسه، ولعل الدليل على ذلك ما حدث لأبى بكر رضي الله عنه حين أقسم ألا يبرَّ مسطحاً، وكان قريبه لأنه شارك فى حادثة الإفك ـ فأنزل الله ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [النور:٢٢]، فرجع أبو بكر عن يمينه وكفر عنها .

وعلى صاحب العقيدة أيضاً ألا يرجو إلا الله ،ولا يخاف إلا من الله ،ولا يخشى سواه ، ولا يغضب لنفسه ولكن يغضب لله .

وخلاصة القول : أن يتجرد صاحب العقيدة لله فى كل أحواله، فحياته ومماته ، ونومه ويقظته ، وحركاته وسكناته ، وصلاته وسائر عباداته ينبغى أن تكون لله؛ مصداقاً لقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام :١٦٢، ١٦٣] (١) .

---

(١) من ركائز الدعوة ص ١٣٤ : للدكتور مجدى الهلالى .

وكذلك عليه أن يتجرد لعقيدته فلا يشرك معها عقيدة أخرى على غير أهدافها وعلى غير وجهتها ، فالعقيدة لا تعطى الرجل بعضها إلا إذا أعطاها قلبه كله ، فليجعل قلبه خزانة دعوته ،يهتف بها فى منامه ويقظته ،ولتكن ليلاه التى يهيم بها ، بل لتكن أنشودته التى تقيمه وتقعده ، وتملأ عليه فراغ قلبه وعقله ،وصدق رسول الله ﷺ حين قال لمن طلب نصرتهم من بنى شيبان فوعدوه بأن ينصروه نصراً محدوداً ضد العرب وحدهم دون الفرس الذين بينهم معاهدة معهم فأجاب: « إن هذا الدين لا ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه»(١).

نماذج من السيرة :

١ ـ صهيب الرومى رضي الله عنه :

لما أراد الهجرة إلى رسول الله ﷺ فى المدينة اعترضه جماعة من المشركين ، وقالوا له : أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ،ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك ، فما كان منه إلا أن قال لهم : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم .قال : فإنى قد جعلت لكم مالى (٢)، وهكذا انطلق صهيب رضي الله عنه بدينه متجرداً من ماله ، فرحاً مسروراً ، كأنه لم يخسر شيئاً ، فيستقبله الرسول ﷺ ويقول له : « ربح البيع أبا يحيى » .

---

(١) مختصر السيرة لابن محمد بن عبد الوهاب ص ١٣٤ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٢١ .

٢ ـ أبو سلمة رضي الله عنه :

لما أراد الخروج إلى المدينة بزوجه وولده ، رآه رجال من بنى المغيرة ، فقاموا إليه وقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، ثم قالوا له : علام نتركك تسير بها ـ أى بزوجته ـ إلى هذه البلاد ؟ ونزعوا خطام البعير من يده ، وأخذوها منه ، وأخذ بنو عبد الأسد سلمة ولده الصغير ، لكنه آثر الله ورسوله على الزوج والولد وهاجر تحت هذه الضغوط متجرداً لله وحيداً . وهكذا تفعل العقيدة الصافية والإيمان العميق[1] . وهكذا يكون التجرد الخالص لله جل وعلا .

---

(١) المصدر السابق .

ثالثاً : أن يكون وفياً لعهده مع الله

معنى الوفاء :

هو العمل بما التزم به الإنسان واتفق عليه عملاً تاماً لا يلحقه نقص فى أى جانب من جوانبه.

الوفاء بالعهد مشروط بموافقة الشرع :

حيث لا وفاء فى باطل ، لأنه لا عهد فى معصية ، ولا حلف على منكر ، إذ لا يكون الوفاء إلا على ما أقره الله وارتضاه ، والله لا يأمر إلا بالخير ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ . قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ [الأعراف : ٢٨ ، ٢٩] .

أنواع الوفاء :

أولاً : الوفاء مع الله . ثانياً : الوفاء مع الناس .

أولاً : الوفاء مع الله :

فمن شأنه أن يجعل المؤمن ملتزماً بتكاليفه كلها الصغير منها والكبير، ولذا جاء الأمر إلى المؤمنين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة : ١] ليشمل كل عقد ، ويدخل فيه كل عهد مادام مرتبطاً بالحق

والعدل والمعروف ، لا جور ولا ظلم ؛لأن الالتزام بالعهود مسؤولية تقع على عاتق الفرد يحاسب عليها أمام الله يوم الدين ، ولن تبرأ ذمته إلا بالوفاء ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٤] .

وقد جعل القرآن الكريم الموفين بالعقود من أولى الألباب ، بل جعل أول صفة من صفات أولى الألباب وفاءهم بالعهود وعدم نقضهم للميثاق قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ . الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاق ﴾ [الرعد : ١٩ ، ٢٠] ،ولا عجب أن يطلق القرآن على الموفين بالعهود لفظة « رجال » التى تحمل معنى الهمة واليقظة وعلو العزيمة ، وأن يجعل هؤلاء الرجال من المؤمنين الصادقين الذين لم يبدلوا عهداً ولم يغيروا موثقاً حتى أتاهم اليقين ، قال سبحانه : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٢٣] (١) . ولا بد أن يعلم رجل العقيدة أنه فى بيعة مع الله وأن ثمن هذه البيعة هى الجنة ،وأن الطريق إليها هو الجهاد والقتل والقتال والنهاية هى النصر أو الشهادة ، فمن بايع على هذا ووفى فهو المؤمن . . فالمؤمنون هم الذين اشترى الله منهم فباعوا ، ومن رحمة الله أن جعل لهذ الصفقة ثمناً وإلا فهو واهب الأنفس والأموال (٢) .

---

(١) طريق الأمناء لتحقيق الوفاء ص ٢١ ، ٢٢ لجاسم بن محمد بن مهلهل الياسين .

(٢) من ركائز الدعوة ص ١٩٣ للدكتور مجدى الهلالى .

نماذج من السيرة :

١ ـ عمرو بن الجموح :

كان شيخاً من الأنصار فلما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر ، قال لبنيه: أخرجونى فمنعوه ، فذُكر لرسول الله ﷺ حاله وعرجه فأذن له فى المقام والقعود ، فلما كان يوم أحد خرج الناس ، فقال لبنيه : أخرجونى ، فقالوا : قد رخص لك رسول الله ﷺ وأذن ، فقال : هيهات منعتمونى الجنة ببدر وتمنعونيها بأحد، فخرج فلما التقى الناس قال لرسول الله ﷺ : أرأيت إن قُتلت أأطأ بعرجتى هذه الجنة ؟ قال:« نعم » ، قال : فوالذى بعثك بالحق لأطأن بها الجنة اليوم-إن شاء الله ـ فقال لغلام معه يقال له: سليم : ارجع إلى أهلك ، فقال: وما عليك أن أصيب اليوم خيراً معك ؟ قال : فتقدم إذن ، قال : فتقدم العبد فقاتل حتى قتل ، وقاتل هو حتى قُتل (١) .

٢ ـ أنس بن النضر :

فقد حدثوا أنه قال : يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين . . . لئن أشهدنى الله قتال المشركين مع النبى ﷺ ليرين ما أصنع . فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال أنس :اللهم أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعنى المسلمين ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعنى المشركين ـ ثم تقدم يقاتل لا يدير ظهره ، مقبلاً غير

(١) المصدر السابق ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

مدبر، لا يلوى على شيء ، يهتف: الجنة ورب النضر ... إنى لأشم ريحها دون أحد ، فلما عثر عليه بعد المعركة وجد قتيلاً وبه بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ، وقد مثل به المشركون ، فما تعرف عليه أحد إلا أخته (١) .

وعليه فلا بد لصاحب العقيدة أن يعلم أن طريق النصر هو طريق الآلام ، أرضه أشواك ، وسماؤه عواصف وأخطار ، ومعالمه شهداء، ورجاله صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وقاعدته الصوام القوام ، الخاشعون المخبتون ، رهبان بالليل فرسان بالنهار .

ثانياً : الوفاء مع الناس :

فالمسلم مطالب إذا قال كلمة أن يقف عندها ، وإذا أبرم عهداً أن يحترمه ، وإذا عقد عقداً أن يوفى به ، قال تعالى : ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾[النحل:٩١] ومقتضى الوفاء بهذه العهود أن يثق الناس فى تعاملاتهم وأن يشيع الصدق بينهم وأن يأمنوا على أنفسهم وأموالهم، وأن تنتفى الخيانة من مجتمعهم وتحل محلها الأمانة .

ثواب الوفاء بالعهد :

١ ـ قال تعالى : ﴿ **عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا . يُوفُونَ بِالنَّذْرِ** ﴾ [الإنسان : ٦ ، ٧] .

---

(١) البخارى : فى الجهاد (٢٨٠٥) ، وفى المغازى (٤٠٤٨) .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ . وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُوْلَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ [المعارج : ٣٢ ـ ٣٥] .

آثار عدم الوفاء بالعهد :

١ ـ قال تعالى : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ [الفتح : ١٠] .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧] .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [الرعد : ٢٥] .

من هذا العرض نلاحظ الفلاح ورضوان الله والجنة للفريق الأول والوعيد والخسران واللعنة للفريق الآخر ، وهى دعوة لكى يراجع المسلم نفسه حتى لا يقع أو يكون مع من قال عنهم رسول الله ﷺ :« آية المنافق ثلاث :إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان » (١) .

أمور تعين على الوفاء بالعهد :

الوفاء بالعهد خلق من الأخلاق الإسلامية ،والله سبحانه أمر به

(١) البخارى : فى الإيمان (٣٣) ، مسلم : فى الإيمان (١٠٨/٥٨) .

فى كتابه ، وجاءت السنة القولية والفعلية للرسول ﷺ داعية إلى الوفاء مطبقة له فى كل الأحوال ما لم تثبت خيانة الأعداء ، بل إن الأمر بالوفاء إلزام إسلامى لا تبرأ النفس إلا بتحقيقه ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] . ولتحقيق هذا المبدأ نذكر بعض ما يعين على الوفاء مستمدين ذلك من المنهج الإسلامى :

١ ـ خشية الله والخوف منه :

وهذه تدفع المؤمن للوفاء ، لأنه يخاف أن يكون من الخاسرين ناقضى العهود الذين حكم الله عليهم بذلك فقال : ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧] ، ويخاف أن تصيبه اللعنة وأن يكون مطروداً من رحمة الله وأن يناله سوء المصير المقرر فى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [الرعد : ٢٥] .

ففرار المؤمنين من أن يكونوا من الخاسرين ، ومن أن يكونو من الملعونين المطرودين من رحمة الله يدفعهم دفعاً قوياً للوفاء بالعهود مهما تطلبت من تضحيات واحتملوا من أجلها المغارم [١] .

---

(١) طريق الأمناء لتحقيق الوفاء ص ٤٧ ، ٤٨ لجاسم بن محمد بن مهلهل الياسين .

٢ ـ التحلى بالصبر أمام مغريات الحياة :

فقد تدفع مغريات الحياة وحب الشهوات فيها الناس أن ينتهزوا فرصة سانحة من الأعداء ،يخدعونهم فيها ويضربون بعهودهم عرض الحائط، لكن المسلم الحق لا يجب أن يكون كذلك ،بل عليه أن يتحلى بالصبر الشديد أمام هذه الفرص السانحة والمغريات، فلا يخون إذا أتيحت له الخيانة ،ولا يغدر وإن سهل له الغدر، متأسياً فى ذلك برسول الله ﷺ حين بعث على بن أبى طالب ليعلن فى موسم الحج « من كان له عهد عند رسول الله ﷺ فعهده إلى مدته » مع أن المشركين حينذاك قد ضعفت شوكتهم ، وكثر عدد المسلمين وزاد بأسهم،ولو أراد الرسول أن ينتهز الفرصة لتغلب على المشركين بأقل التكاليف البدنية والمالية ، ولكن حاشاه الرسول ﷺ أن ينقض عهداً أو يخلف موعداً ، بل يعلن فى موسم الحج « ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فعهده إلى مدته» (١) .

٣ ـ التثبت من الأخبار قبل اتخاذ أى إجراء :

فالمسلمون ليس من دأبهم نقض عهد بينهم وبين غيرهم من الجماعات أو الأفراد لمجرد الشائعات التى يتناقلها الناس بنقض أولئك للعهد ، بل إن مما أوجبه الدين عليهم أن يتثبتوا مما يرد إليهم من أخبار يؤدى إلى نقضهم ما عاهدوا عليه ، وهكذا كان يفعل رسول

---

(١) أحمد (١ / ٣) ، والدارمى (١٩٢٥) .

الله ﷺ وأصحابه من بعده ، فحين جاءه الخبر أن بنى المصطلق ارتدوا عن الإسلام ومنعوا الزكاة أرسل خالد بن الوليد ليستكشف خبرهم ، فتبين له أنهم مسلمون طائعون لله ورسوله ، وخبر هؤلاء هو أن رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط لأخذ الصدقات من بنى المصطلق ، فلما علموا بقدومه خرج منهم عشرون رجلاً متقلدين سلاحهم احتفالا بقدومه ومعهم إبل الصدقة ، فلما نظر إليهم ظنهم يريدون حربه لما كان بينه وبينهم من العداوة فى الجاهلية ، فرجع مسرعاً إلى المدينة وأخبر الرسول ﷺ أن القوم ارتدوا ومنعوا الزكاة فأرسل إليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر ، فسار إليهم فى عسكره خفية حتى إذا كان بناديهم سمع مؤذنهم يؤذن بالصبح ، فأتاهم خالد فلم ير منهم إلا طاعة ، فرجع وأخبر الرسول فأرسل عليه الصلاة والسلام غير الوليد لأخذ الصدقات وفى الوليد هذا وقصته نزل القرآن يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦](١) .

فأولى بالمسلمين أن يهتدوا بسنة نبيهم ﷺ ثم بعد ذلك يتصرفون كما تصرف الرسول ﷺ أو يتصرفون كما تصرف خالد بن الوليد مع بنى المصطلق حين وفوا بعهودهم ولم تثبت أخبار ارتدادهم .

---

(١) طريق الأمناء لتحقيق الوفاء ص٥٠ لجاسم بن محمد بن مهلهل الياسين .

رابعاً : أن يكون ثابتاً على طريق الدعوة

قضت مشيئة الله تعالى أن ينصر الحق بجهاد بشر لا بكلمته الكونية النافذة « كن فيكون » حيث قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد : ٤] . . . ثم إن الله عز وجل قد ادخر ميقات النصر فى خزائن الغيب عنده ، فإن تهيأت المقدرة نزل على من ظلوا فى الساحة رافعى الراية ليكونوا عندها ستراً للقدرة ويرجعوا بجزيل الأجر ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦] .

وعندما تثور قوى الباطل لزحزحة أهل الحق يصبح « الثبات » من أولى الصفات اللازمة لنصر المرحلة يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥ ، ٤٦] .

من صور الثبات :

كثيرة هى العوائق الضارة والفتن الصارفة عن الجادة ، فتارة تثار

الشبهات المشككة، وتارة تعرض المغريات الفاتنة، وتارة تقع الابتلاءات المزلزلة وغيرها ، وتحتاج كل عقبة من هذه العقبات إلى صورة من صور الثبات لتخطيها . . . . ومن هذه الصور :

أ ـ الثبات أمام الشبهات :

فالشبهات سلاح قديم يشهره الباطل فى وجه الحق لبلبلة الفكر واهتزاز الثقة فى المنهج، ولو قلبنا صفحات التاريخ لرأينا قذائف الشبهات تطلق فى كل اتجاه وتسقط فى كل ميدان . . . ففى مجال العقيدة مثلاً : رأينا أبى بن خلف يأخذ عظاماً نخرة فيفتها ويذروها فى الهواء قائلا لرسول الله ﷺ : أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ فيرد عليه الرسول ﷺ بلسان الواثق الموقن :« نعم يميتك ثم يبعثك ثم يدخلك النار » ونزل قول الله جل وعلا : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس :٧٨ ، ٧٩] ، وذلك تأكيداً على حرص القرآن على رصد الشبهات المتهافتة ودحضها.

وفى مجال الأحكام قالوا عن الذبائح : ما قتلتم أنتم تحلونه وما قتله الله تحرمونه فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] .

وعن رسول الله ﷺ قالوا :﴿ مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي

فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾ [الفرقان : ٧] . فنزل قول الله تعالى بعدها : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾ [الفرقان: ٢٠].

ب ـ الثبات فى وجه المغريات :

وهى كذلك من أسلحة الباطل المعروفة التى لا تؤثر فى رجال باعوا أنفسهم وأموالهم لله وأحبوا الحق فذابت وصغرت الدنيا فى أعينهم بمناصبها وأموالها . . . ومثلنا فى ذلك رسول الله ﷺ وهو يرد على قومه وقد أغروه بالمال والجاه لترك دعوته : « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

وهذا عبد الله بن حذافة السهمى ﷺ يقع فى أسر الروم فيذهبون به إلى ملكهم فيراوده عن دينه ليشركه فى ملكه فيكون الرد المدهش : « والله لو كان لى ملكك وسبعة أمثاله على أن أترك دين محمد طرفة عين ما تركته » فلما لم يُجدِ الإغراء جاء دور التعذيب والإرهاب فأمر به أن يوثق وأن يُلقَى بالسهام قريباً من يديه ورجليه. . . ثم أتوا به إلى الملك بعد هذه الجولة فإذا به أقوى وأصلب . . . فلما يئس منه كان القرار الأخير بالقضاء المبرم عليه بإلقائه مكبلاً فى قِدر عظيم يغلى ليُسلق حياً ، وفى الطريق لتنفيذ هذه الجريمة البشعة إذ بعبد الله يبكى ففرحوا ورجعوا به إلى الملك ،

فإذا هو أشد ثباتاً وإصراراً فعجب الملك وسأل: فما أبكاك إذا ؟ فكان الرد المذهل : لأنى علمت أن لى نفساً واحدة ستخرج الآن فى هذا القدر، وكنت أود أن يكون لى بعدد شعر رأسى أنفس تخرج واحدة واحدة فى سبيل الله . . . فلما عرف الملك صدق لهجته تركه . . . إلا أنه عرض عليه أن يقبل رأسه مقابل إطلاق سراحه . . . وذلك ليشعر أنه خرج من هذا الجبل الشامخ الراسى بأى شىء . . . فكانت المفاجأة الأخرى أنه رفض حتى يطلق سراح المسلمين جميعاً ، فوافق الملك ورجع عبد الله بإخوانه ببركة ثباته ولسان حالهم جميعاً يقول: ﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٤] (١) .

جـ ـ الثبات أمام بطش الظالمين :

وهو من حيل المجرمين المفلسين حين لا تجدى الوسائل السابقة فيفقدون صوابهم ويثورون على أهل الحق . . . ويعتبر أسلوب البطش والتنكيل من أكثر أساليب الباطل شيوعاً وتكراراً على مر التاريخ ، وقد ذاق الصحابة رضوان الله عليهم العذاب ألواناً وهم الصفوة من خير القرون . . .

نماذج من السيرة :

١ ــ بلال رضي الله عنه :

يجرد من ثيابه ويلقى على نار البطحاء وتوضع الصخرة العظيمة

(١) من زاد السائرين إلى رب العالمين ص ١٠ ، ١١ لعبد الرحمن الجندى .

الملتهبة على ظهره، فلا يزال يردد كلمة التوحيد الغالية « أحد ،أحد » مستخفاً بالظالمين متحديا لهم مصراً على مبدئه معتزاً به مهما لاقى فى سبيله .

٢ ـ خباب بن الأرت رضي الله عنه:

كانوا يلقونه على فحم ملتهب ويضعون الصخرة عليه حتى لا يستطيع فكاكاً من حريقه ، ولما طال أمد العذاب ذهب وبعض الصحابة يلتمسون الخلاص عند رسول الله ﷺ فقالوا له : يا رسول الله أهكذا الدهر ؟ ألا تدعو الله لنا ؟ ألا تستنصر لنا ؟ فلم يجبهم إلى ما أرادوا ؛ لأنه ﷺ يعلم أنها سنة الله الماضية فى الدعوات سابقاً ولاحقاً ، ومازاد رسول الله ﷺ على أن ذكرهم بمن سبقوهم على درب الإيمان حيث كان يؤتى بالرجل منهم فيحفر له حفرة فيوضع فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيشق به نصفين ثم يؤتى بأمشاط من الحديد ليمشط بها ما بين لحمه وعظمه لا يرده ذلك عن دينه ، ثم يبعث الأمل فى نفوسهم بقوله : « والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون » [١] .

وقد يتسلل اليأس إلى بعض النفوس حين يتأخر النصر فينصرفوا عن الطريق أو يتشككوا فيه ولكن غاب عن هؤلاء أننا سنحاسب على العمل ولن نحاسب على النتائج ، وهذا هو موعود الله الذى

---

(١) البخارى : فى مناقب الأنصار (٣٨٥٢) ، وأحمد فى مسنده (٥/١٠٩) .

قال : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور : ٥٥] .

فما علينا إلا أن نمضى على بركة الله فى الطريق مؤدين ما علينا متضامنين فى واجبنا غير منتظرين لثمار جنينا . . . فإن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد . . . ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد:٨] (١).

أمور تعين على الثبات :

١ ـ قوة الإيمان ولزوم الطاعة :

حيث جعله الله شرطاً لمن يستحق أن يكرمه الله بالتثبيت فقال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ [الأنفال : ١٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج:٣٨] ، وقد قال الرسول ﷺ : « تعرف على الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة »(٢). وذلك بالتقرب إليه بالطاعات والعبادات وتلمس مواطن رضاه والمسارعة إليها واتقاء أسباب سخطه والفرار منها .

٢ ـ دوام اللجوء إلى الله تعالى :

حيث يجد المرء فى شدته قلوباً موصولة بالله تجأر إليه بالدعاء فى

---

(١) من زاد السائرين إلى رب العالمين ص ٨ ـ ١٢ عبد الرحمن الجندى .

(٢) أحمد (١ / ٣٠٧) .

مواطن الإجابة أن يثبت الأقدام ويربط على القلوب،ويفرج الكروب « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ، اللهم يا مصرف القلوب صرف قلبى على طاعتك وطاعة رسولك » (١) .

وكلما اقترب المسلم من ربه كان من أكثر الناس تعرضاً لرحمات الله سبحانه وتعالى، وكلما أظهر العبد لربه الذل والمسكنة والضعف والعجز والفقر والحاجة وتبرأ من الحول والطول والقوة كلما كان أقرب تعرضاً لفيوضات التثبيت والمعية .

وقد غدر قاطع طريق بحمّال ربانى فى خلاء موحش وامتشق سيفه ليقتله فاستأذنه فى ركعتين فأذن له ولكن القرآن ارتج عليه فلم يذكر منه إلا قوله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل : ٦٢] فظل يرددها والآخر يتعجله . . . فإذا بفارس كأنما انشقت الأرض عنه يسرع نحو الظالم فيقتله ثم يولى مدبراً . . . فيلحق به الحمّال متسائلاً: من أنت ؟ فيجيب: أنا عبد من يجيب المضطر إذا دعاه (٢) .

٣ ـ مصاحبة الأخيار من أرباب الهمم العالية :

فخير صديق من إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكرك ، وقد

---

(١) الترمذى : فى الدعوات (٣٥٨٧) وقال:« حديث غريب من هذا الوجه » وابن ماجه : فى المقدمة (١٩٩) ، وأحمد (٣ / ١١٢) ، والحاكم : فى المستدرك ٢ / ٢٨٨ وصححه ووافقه الذهبى .

(٢) من زاد السائرين إلى رب العالمين ص ٢٨ : عبد الرحمن الجندى .

قال ﷺ: « لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقى »(١)، وقال : « المرء على دين خليله فلينظر إلى من يخالل » (٢). تلك الصحبة التى من صفاتها ما أخبر به الرسول ﷺ « إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر »(٣) ، فهم خير معين على الثبات ، يقول أحد الصالحين: « لقد أعز الله الدين بالصديق يوم الردة وبأحمد يوم المحنة» وها هو ابن القيم يقول عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ودوره فى التثبيت: « وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت بنا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا »(٤) .

٤ ـ البعد عن مواطن الفتن :

فطريق الدعوة ليس كما يظن البعض مفروشاً بالورود والرياحين، بل مليء بالأشواك والعقبات ،ومن أصعب هذه العقبات على النفس تلك التى يجدها المرء من بعض أصدقائه كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ [الفرقان : ٢٠] . والذى يعين المرء على اجتياز تلك العقبة أمور عدة :

---

(١) أبو داود : فى الأدب (٤٨٣٢) ، والترمذى : فى الزهد (٢٣٩٥) ، وقال : « حسن » .

(٢) أبو داود : فى الأدب (٤٨٣٣) ،والترمذى : فى الزهد (٢٣٧٨) ، وقال : « حسن غريب » .

(٣) ابن ماجه :فى المقدمة (٢٣٧) ، وفى الزوائد : « إسناده ضعيف من أجل محمد بن أبى حميد فإنه متروك » .

(٤) وسائل الثبات على دين الله ص ٢٥ : لمحمد صالح المنجد .

منها علمه بأننا جميعاً بشر ،الأصل فينا النقص والضعف ، فإذا أضاف إلى ذلك طبيعة البيئة التى نشأ فيها الكثير منا فيسهل عليه استيعاب ما قد يحدث أمامه من أفعال وتصرفات بعيدة كل البعد عما أمر به الإسلام وحث عليه .

ومما يعين على ذلك ـ أيضاً ـ الابتعاد التام عن مواطن الخلاف والفتن [(١)]. وليتذكر المرء قول رسول الله ﷺ : « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، من تشرف إليها تستشرفه ، فمن وجد منها ملجأ أو معاذاً فليعذ به » [(٢)] .

٥ ـ الإقبال على القرآن الكريم :

فهو وسيلة التثبيت الأولى، وهو حبل الله المتين والنور المبين ، فمن تمسك به عصمه الله ، ومن اتبعه أنجاه الله ، ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣ ـ ١٢٦] ، والغاية التى من أجلها نزل هذا القرآن

---

(١) من ركائز الدعوة ص ١٨٧ : للدكتور مجدى الهلالى .

(٢) البخارى : فى الفتن (٧٠٨١ ، ٧٠٨٢) ، ومسلم : فى الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٦ / ١٠) ، والترمذى : فى الفتن (٢١٩٤) .

مفصلاً هى التثبيت ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

٦ ـ الإكثار من العمل الصالح :

فلنكثر من الفضائل ولنعمل على زيادة رصيد الخير فى قلوبنا لعله سبحانه وتعالى يغفر لنا ويثبتنا ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. قال قتادة: (أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح ﴿وَفِي الآخِرَةِ ﴾ فى القبر) . وكذا روى عن غير واحد من السلف [1] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء : ٦٦] .

٧ ـ تدبر قصص الأنبياء للتأسى والعمل :

والدليل على ذلك ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود : ١٢٠].

وهكذا فأبناء العقيدة الثابتون على مبادئها يرون فى هذا الواقع ـ رغم قوته ـ طريق أصحاب الدعوات ، الذين صُلبوا على الخشب ونشروا بالمناشير فما ازدادوا إلا ثباتا وصموداً ، وأحسنوا المسيرة فنالوا حسن العقبى ، وبلغوا منزلة الرضا فأتتهم الدنيا وهى راغمة

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٢١) .

وحفظهم الله في نسلهم وذراريهم ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الكهف : ٨٢] لقد حفظت الذرية بصلاح الأجداد ، فما ظننا بصلاح الآباء ؟

فمن أحسن الزرع ، طرحت غراسه ، وأينعت ثماره ، وطاب جناه ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٥٦].

٨ ـ الإخلاص واليقين :

فالإخلاص يعين على الثبات .ومن علامته :أن يكون العمل الصامت أحب إلى الفرد من العمل الذى يحفه ضجيج الإعلان والشهرة ، وأن يكون حب المرء وبغضه ورضاه وغضبه كله لدينه لا لنفسه .

كما أن اليقين بأن الرزق والأجل والنفع والضر بيد الله ، يعين المرء على أمر الثبات ويجعله يقدم على العطاء بنفس راضية ، ويمنع نفسه الأبية أن تنحنى لغير الله ، فلا يملك مخلوق سواه نفعاً ولا ضراً .

خامساً : أن يكون واثقاً بالله وبنصره

ليس مسلماً من يسمح لليأس أن يستبد به .... ومهما كثرت الغيوم وتكاثفت السحب ، وأحيط بالمسلم من كل جانب ، وخُيل له أن أمر المسلمين خرج من أيديهم وأصبح بيد أعدائهم ؛فإن واجب المسلم أن ينهض للأمر وأن يلقى الله مجاهداً لا يائساً وأن يستعيد ثقته بالله وبنصره . يقول الدكتور القرضاوى : إن المؤمن الحق لا يعرف اليأس أبداً ، ولا يفقد الرجاء أبداً ، وإن ادلهمت من حوله الخطوب ، وتألبت عليه قوى الشر .

إنه واثق بربه ، واثق بحقه ، واثق بغده ، واثق بوعد الله له ومثله فى ذلك هو رسول الله ﷺ ، فقد كان فى أحلك الأزمات واثقاً بالله وبنصره كأنه رأى العين [١] .

نماذج من السيرة :

١ ـ فى حادث الهجرة :

عندما اقترب المشركون من غار ثور ـ حيث رسول الله ﷺ

---

(١) من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا ص ١١٠ ـ طبعة الوفاء .

وأبو بكر الصديق ـ وازداد اقترابهم حتى وقفوا أمامه، يقول أبو بكر الصديق : نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال ﷺ : « ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما » [1] . ونزل القرآن : ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠] .

٢ ـ موقف الرسول ﷺ مع خباب بن الأرت :

عندما كان يأخذه المشركون ليضعوه على الفحم الملتهب ، ويضعون الصخرة عليه حتى لا يستطيع فكاكاً من حريقه ، ولما طال الأمد واشتد العذاب ذهب وبعض أصحابه يلتمسون الخلاص عند رسول الله ﷺ يقولون له : أهكذا الدهر ؟ ألا تدعو الله لنا ؟ لكن رسول الله ﷺ لم يجبهم إلى ما أرادوا ولم ينقطع خيط الأمل من قلبه ولم يتسرب إليه مثقال ذرة من يأس فى مستقبل دعوته وانتصار رسالته وانهزام أعدائه، وهو ضعيف مستضعف، يعذب أصحابه ويطاردون. يقول خباب رضي الله عنه :أتيت النبى ﷺ وهو متوسد بردة ، وهو فى ظل الكعبة ،وقد لقينا من المشركين شدة ،فقلت: يا رسول

---

(١) البخارى : فى فضائل الصحابة (٣٦٥٣) ومسلم : فى فضائل الصحابة (٢٣٨١ / ١) .

الله: ألا تدعو الله لنا ؟ فقعد وهو محمر وجهه. فقال: «لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، ما يخاف إلا الله، والذئب على غنمه »[1]. فكيف نضعف أو نتخاذل أو نستسلم لليأس ونحن نملك من أسباب القوة ما لا يملكه أعداؤنا ، ولا يمكنهم أن يملكوه يوما .

المستقبل لهذا الدين :

ليعلم رجل العقيدة أنه لا بد من تدافع وصراع بين الخير والشر والحق والباطل ، وهـذا التدافع يحتـاج إلى رجال مؤمنين مهيئين للدور: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [المدثر :٣١] ومهما عتا الجبارون وخنع عبيد الدنيا ، واستسلم المنهزمون فى أعماقهم ، المتفلتون من أعباء دينهم ، الموالون لأعداء الله ، فيجب أن يبقى المسلم موقنا وواثقاً بأن الله سينصره وسيعز دينه مهما طال الأمد ومهما قويت شوكة الباطل : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] ، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج : ٤٠] ، ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ

---

(١) البخارى : فى مناقب الأنصار (٣٨٥٢) ، وأحمد فى مسنده ٥ / ١٠٩.

عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور : ٥٥].

ومن كان يظن أن تقوم للإسلام قائمة بعد أن تشتت الناس وانقسموا وارتدوا بعد وفاة رسول الله ﷺ وفى المرحلة الأولى من خلافة أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، ففى هذة الفترة برزت فيها قرون العصبية الجاهلية كأنها قرون الشياطين ،وارتدت العرب عن الإسلام، ومنع بعض ممن ينتسبون إلى الإسلام ظاهراً الزكاة ، ومنهم من أبطل الصلاة . . . ،وكان المسلمون بعد موت النبى ﷺ كالغنم فى الليلة المطيرة كما وصفتهم السيدة عائشة رضي الله عنها ، وبلغت الحالة حد اليأس حتى أن بعض الناس جاء إلى أبى بكر رضي الله عنه وقال : يا خليفة رسول الله ، لا طاقة لك بحرب العرب جميعاً . . . الزم بيتك ، وأغلق بابك ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ـ الموت .

ولكن هذا الرجل الخاشع البكاء ، الهادئ الرقيق . . . لم يدب اليأس إلى قلبه ، ولم يقنط من رحمة الله ونصره . . . وإنما انقلب فى هذه الفترة الخطيرة من خلافته إلى رجل ثائر كالبحر ، زائر كالليث ، يصيح فى وجه عمر ويقول : أجبار فى الجاهلية ،خوار فى الإسلام ؟ ماذا عسيت أن أتألفهم بسحر مفتعل أم بشعر مفترى ؟ هيهات هيهات !!

مضى رسول الله ﷺ وانقطع الوحى ، والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف فى يدى ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . . . لقد تم الوحى واكتمل . . . . أفينقص الدين وأنا حى ؟ والله لو منعونى عناقا أو عقال بعير لقاتلتهم عليه !! . .

فما كان من عمر رضي الله عنه إلا أن قال : لقد شرح الله صدر أبى بكر للقتال فعلمت أنه الحق .

وهكذا استطاع أبو بكر رضي الله عنه بإيمانه وعزمه وجهاده وقوة نفسه الكبيرة أن يُعيد لدولة الإسلام استقرارها ويرسخ لها عزتها ونقاءها .

* ومن كان يظن أن تقوم للإسلام قائمة لما استولى الصليبيون على كثير من البلاد الإسلامية والمسجد الأقصى وما حوله ما يقارب قرناً من الزمان .

* ومن كان يظن أن هذه البلاد ستحرر على يد البطل المغوار صلاح الدين فى معركة حطين الحاسمة ويصبح لها من الكيان والعزة والمجد ما شرف التاريخ ؟ !

* ومن كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لما خرّب المغول والتتار العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، وفتكوا بالأنفس والأعراض فتكا ذريعا ؟ حتى إن جبالا شامخة أقامها « هولاكوا » من جماجم المسلمين .

* ومن كان يظن أن هذه البلاد ستحرر على يد البطل المغوار قطز فى معركة عين جالوت الحاسمة ويصبح للمسلمين من المجد والعظمة ما فخرت به الأجيال ؟ !

* إن التفاؤل والثقة بالنصر هو مقدمة النصر ، وإن القوة المعنوية فى كل أمة هى التى تدفع شبابها ورجالها أن يصنعوا من اليأس أملاً ومن الهزيمة انتصاراً ، ومن الضعف قوة ، ومن الذلة عزة . . . ومن الشتات وحدة [1] .

* وصاحب العقيدة لا بد أن يعلم أن الثقة بنصر الله تملأ القلب طمأنينة ورضا وصبراً جميلاً ، وأن يوقن بأن الله يعينه ويرشده ويؤيده وينصره إذا تخلى عنه الناس .

* إن رسالة الإسلام لا تعرف اليأس ولا القنوط ولا الأحزان، ودعاء الرسول ﷺ « اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال »[2] دليل على أن هذه الأمور من شأنها

---

(١) تربية الأولاد فى الإسلام ص ٨٢١ ، ٨٢٢ للدكتور عبد الله ناصح علوان.

(٢) البخارى : فى الدعوات (٩٣٦٩) ، وأبو داود : فى الصلاة (١٥٤١) ،والترمذى : فى الدعوات (٣٤٨٤) ، والنسائى : فى الاستعاذة (٥٤٤٩) ، وأحمد (٣ / ١٥٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٤٠) .

تحطم المجتمعات ، وتزلزل بنيانها ، وتحولها إلى مجتمعات حزينة منكسرة بائسة ضائعة .

ولذلك نجد القرآن يحث على الإيمان بالنصر واليقين به ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز﴾ [الحج : ٤٠]، ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُم﴾ [محمد : ٧] وحين تستقر هذه المعانى فى النفوس وتستولى على المشاعر ، عندها تثبت القلوب وتسعد بموعود الله عز وجل ، وعلى المسلم أو صاحب العقيدة على وجه الخصوص أن يتخذ لنفسه من الرسول ﷺ قدوة فى كل الأمور وأن يضع أمام عينيه قول الله تبارك وتعالى :﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف : ٨٧] ولقد كان هذا دأب الصحابة رضوان الله عليهم فحين زلزلوا زلزالاً شديداً فى غزوة الأحزاب قالوا ما حكاه عنهم القرآن الكريم ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيماً﴾ [الأحزاب : ٢٢].

ولئن ظهرت أمام أعيننا بعض أمارات اليأس والقنوط فإنها لا يجب أن تتعدى أبصارنا إلى قلوبنا ، لأننا نثق بقول الله عز وجل : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [الشرح :٥] وإذا ضاقت الأمور فهى إلى انفراج، وإذا اشتد الظلام ففى نهايته فجر يضىء ويشرق .

ولرب نازلة يضيـق بهـا الفتى ذرعاً وعنـد الله منها المخـرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفـرج

ولقد سئل علماؤنا الأفاضل : هل يموت الإسلام ؟ فأجابوا : لا، لا يموت الإسلام ، ولكنه يمرض ، والمريض يبرأ إن شاء الله ، ولسوف يبرأ الإسلام مما لحق به فى عصور التخلف والضعف ليكون عملاقاً يملأ بنوره الأرض .

المبحث الثالث

* أثر العقيدة فى حياة الفرد.

* أثر العقيدة فى حياة المجتمع .

* حاجة الأمة إلى رجال العقيدة .

أولاً : أثر العقيدة فى حياة الفرد

إن عقيدة التوحيد تصنع المعجزات ، فهى إذا استقرت فى قلب الإنسان تجعله مطمئن النفس ، هادئ البال ، قرير العين ، ليس بالقلق ولا بالحيران حتى أن أحد الصالحين كان يقول : « نحن فى سعادة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف » ، ولعلنا نجد هذا واضحاً فى حلاوة الأبيات التى كانت تتغنى بها رابعة العدوية :

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذى بينى وبينك عامر ... وبينى وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذى فوق التراب تراب

وفى هذا المعنى يقول صهيب ﷺ عن رسول الله ﷺ: « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » (١) .

---

(١) مسلم : فى الزهد (٢ / ٥٩٦) طبعة الحلبى .

إن عقيدة التوحيد لها آثار عديدة على أخلاق معتنقيها ، ومن هذه الآثار أنها :

أولاً : تحرر الإنسان من الخوف على الحياة :

ذلك لأنها تقرر أن الخالق هو الله ، وأن الأجل بيد الله وأن هذا الأجل محدود لا يزيد ولا ينقص ، قال تعالى : ﴿ **وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [المنافقون : ١١] .

فإذا استقرت هذه العقيدة فى قلب المسلم فإنه يأبى أن يُذل ، أو يهون فى أى ظرف ، خاصة وقد علم عِلم اليقين أن شجاعته لا تنقص من عمره شيئاً وأن الجبن لا يزيد فى عمره شيئاً .

إن هذه العقيدة تقول لصاحبها : إن الله يريدك أسداً فلا تكن هِراً ، وإن دينك دين رجولة وحرية فكن رجلاً حراً ، وإن معك إسلاماً هو البحر فدع السراب .

ويوم أن تستقر هذه المعانى فى القلوب ، يستقر أصحابها ويثبتون أمام الأعاصير الهوج ثبات الجبال الرواسى ، لا تهون لهم عزيمة .

وهكذا ترجم الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون وتابعو التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين هذه الحقائق إلى مواقف رجولة فعاشوها حقيقة لا صورة ، وعملاً لا قولاً .

نماذج من السيرة :

١ ـ بلال بن رباح :

فها هو ﷺ لما آمن وسرت هذه العقيدة إلى شغاف قلبه ـ كما بينا قبل ذلك ـ تحدى قريشاً بأسرها ، بل تحدى الدنيا بإيمانه ، يعلن هذا الإيمان دون خوف أو وجل، لا يعبأ بما يلاقى من صعاب وعنت ومشقة، تهون أمامه كل الآلام ، إنهم يضربونه ويضعون الصخرة العظيمة على صدره حتى يترك دين الإسلام فيأبى ، ويكرر ما يغضبهم « أحد ، أحد » ، يقولون له : اللات ، يقول : أحد أحد، يقولون له : العزى ، يقول :أحد أحد ،يقولون له : هبل ، يقول: أحد أحد ،ويصبون جام غضبهم عليه وهو لا يغفل لحظة عن قول : أحد أحد ،ويلتفت إليهم ويقول :والله لو وجدت كلمة تغيظهم أكثر منها لقلتها .

٢ ـ عبد الله بن مسعود :

وها هو ﷺ ينبرى ليُسمِعَ قريشاً القرآن ، فيأتى الكعبة على مرأى ومسمع من زعماء قريش ويبدأ بتلاوة سورة الرحمن ، فتنهال قريش عليه ضرباً بكل شىء حتى بنعالهم ، وهو لا يعبأ بما أصابه ، ويستمر فى تلاوة السورة حتى بلغ ما أراد ، بعد أن تورم وجهه وغارت عيناه، فينسى هذه الآلام وينتصر عليها ويقول للمسلمين :

والله لقد كان أعداء الله أهون عليَّ من الذباب ولو شئتم لتلوت عليهم القرآن غداً [١] .

٣ ـ زنيرة :

وها هي زنيرة رضي الله عنها تعتنق هذا الدين فتتعرض لتعذيب وحشى من أبى جهل حتى أفقدها بصرها فما هانت ولا لانت ، ويقف متبجحاً يقول لها : إن كان ربُّ محمد قادراً على كل شىء فليرد إليك بصرك، فتقول له المؤمنة الواثقة بربها : الله قادر إن شاء ، فيقول المشركون : أعمتها اللات والعزى . فقالت : إنى كفرت باللات والعزى ، فرد الله إليها بصرها [٢] .

٤ ـ أبو حازم :

روى ابن الجوزى ـ رحمه الله ـ : بعث سليمان بن عبد الملك إلى أبى حازم فجاءه فقال : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب .

فقال : يا أبا حازم كيف القدوم على الله ؟ قال: يا أمير المؤمنين

---

١) أسس فى التصور الإسلامى ص٦٧ للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس.

٢) الإصابة فى تمييز الصحابة ٤ / ٣١٢ لابن حجر .

أما المحسن فكالغائب يُقدم على أهله ، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه ، فبكى سليمان وقال: ليت شعرى مالى عند الله ؟

قال أبو حازم : اعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار : ١٣ ، ١٤] .

قال : فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم : قريب من المحسنين .

قال : أى عباد الله أكرم ؟ قال أبو حازم : أهل البر والتقوى .

قال : أى الكلام أسمع ؟ قال أبو حازم : قول الحق عند من تخاف وترجو.

قال : فأى المؤمنين أخسر ؟ قال أبو حازم : رجل خطا فى هوى أخيه، وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره .

قال : فما تقول فينا ؟ قال أبو حازم : أو تعفينى ؟

قال: لا بد ، فإنها نصيحة تلقيها إلىَّ ؟

قال أبو حازم : يا أمير المؤمنين إن آبائك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ، ولا رضا منهم، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وقد ارتحلوا ، فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم ؟

فقال رجل من جلسائه : بئسما قلت .

قال أبو حازم : كذبت ، إن الله قد أخذ على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه .

قال سليمان: اصحبنا يا أبا حازم تُصب منا ونصب منك .

قال أبو حازم : أعوذ بالله من ذلك .

قال سليمان : ولم ؟

قال أبو حازم : أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات .

قال سليمان : يا أبا حازم ادع لنا بخير .

قال أبو حازم : اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخير ، وإن كان عدوك فخذ إلى الخير بناصيتيه .

فقال سليمان : يا غلام هات مائة دينار ، ثم قال :خذها يا أبا حازم . فقال أبو حازم : لا حاجة لى فيها ، إنى أخاف أن يكون لما سمعت من كلامى ، فكأن سليمان أعجب بأبى حازم .

فقال الزهرى ـ ليقلل من شأنه ـ : إنه لجارى منذ ثلاثين سنة ما كلمته قط .

قال أبو حازم : إنك نسيت الله فنسيتنى ، ولو أحببت الله لأحببتنى .

قال الزهرى :أتشتمنى ؟ قال سليمان : بل أنت شتمت نفسك، أما علمت أن للجار على جاره حقاً . قال أبو حازم : إن بنى إسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء ، وكانت العلماء تفر بدينها من الأمراء ، فلما رأى ذلك قوم من أذلة الناس تعلموا ذلك العلم وأتوا به إلى الأمراء ، فاستغنت به عن العلماء ، واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وانتكسوا ، ولو كان علماؤنا يصونون علمهم لم تزل الأمراء تهابهم .

قال الزهرى : كأنك إياى تريد وبى تعرض ، قال : هو ما تسمع [1] .

نعم ، إنه نموذج من نماذج الجرأة عند السلف الذين امتلأت قلوبهم بخشية الله فلم يعد فيها متسع للخوف من سوى الله؛ إذ كل ما فوق التراب تراب .

٥ ـ الزبير بن العوام :

فقد ذكر ابن سعد فى طبقاته : « أن أول من سل سيفاً الزبير ،

(١) صفة الصفوة ص ٩٤ الجزء الثانى .

بينما هو ذات يوم قائل إذ سمع نغمة قتل رسول الله ﷺ فخرج متجرداً بالسيف صلباً فلقيه النبي ﷺ فقال له: مالك يا زبير ؟ قال : سمعت أنك قتلت ، قال : فما أردت أن تصنع ؟ قال : أردت والله أستعرض أهل مكة .

وعندما دعا طلحة العبدري حامل لواء المشركين يوم أحد إلى البراز وأحجم عنه الناس خرج إليه الزبير فوثب حتى صار معه على جمله ، ثم اقتحم به الأرض فألقاه عنه وذبحه بسيفه فأثنى عليه رسول الله ﷺ وقال : « إن لكل نبي حواريا وحواري الزبير ولو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه لما رأيت من إحجام الناس عنه » (١) .

٦ ـ أبو ذر الغفاري :

ذلك الصحابي الجليل الذي جهر بكلمة التوحيد وسط جموع المشركين من غير وجل ولا خوف،فقد رُوي أنه وقف صارخاً يقول: يا معشر قريش إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فقاموا إليه فضربوه حتى أوشك على الموت(٢) . لكنه استعذب العذاب ولم يخش إلا الله .

---

(١) الطبقات الكبرى : ٣ / ٧٨ .

(٢) البخاري : في مناقب الأنصار (٣٨٦١) .

٧ ـ البراء بن مالك :

في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفي حربه مع المرتدين ـ مسيلمة الكذاب وجنوده ـ على أرض اليمامة بنجد ، عندما هرع مسيلمة وجنوده إلى حديقة سامقة الجدران ، واستعصت الحديقة على المسلمين بعض الوقت ، خرج ذلك البطل المغوار على المسلمين ثم جلس على ترس وقال لهم : « ارفعوني برماحكم فألقوني إليهم ، فرفعوه برماحهم فألقوه من وراء الحائط فأدركوه قد قَتل من أتباع مسيلمة عشرة » (١) .

وفتحت الحديقة وانتصر المسلمون ، ولما عُرف عنه رضي الله عنه من استبسال واستهانة بالموت فقد كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الجند : « لا تستعملوا البراء فإنه مهلكة » (٢) .

٨ ـ أصحاب الأخدود :

هذه الفئة المؤمنة التي أعطت لنا صورة مشرقة من صور التحدي للباطل وجنده ، تلك الصورة التي قصها علينا القرآن الكريم في

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٢ / ٢٢٢ ، والبداية والنهاية لابن كثير : ٨ / ٣٢٩ ، وسير أعلام النبلاء : ١ / ١٩٦ ، وأسد الغابة : ١/ ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) صور من حياة الصحابة ص ٤٠ للدكتور : عبد الرحمن رأفت الباشا .

سورة البروج ، تلك الصورة التى علق عليها صاحب الظلال فقال :
« وقد ارتفع الإيمان بهذه القلوب على الفتنة ، وانتصرت فيها العقيدة على الحياة فلم ترضخ لتهديد الجبارين ، ولم تفتن عن دينها وهى تُحرق بالنار حتى تموت ، لقد تحررت هذه القلوب من عبوديتها للحياة فلم يستذلها حب البقاء وهى تعاين الموت بهذه الطريقة البشعة . . فى حساب الأرض يبدو أن الطغيان قد انتصر على الإيمان . . ولكن القرآن الكريم يعلم المؤمنين شيئاً آخر وهو أن الحياة وسائر ما يلابسها ليست هى القيمة الكبرى فى الميزان، وليست هى السلعة التى تقرر حساب الربح والخسارة ، والنصر ليس مقصوراً على الغلبة الظاهرة ، فهذه صورة من صور النصر الكثيرة . . إن النصر فى أرفع صوره هو انتصار الروح على المادة، وانتصار العقيدة على الألم ، وانتصار الإيمان على الفتنة » .

وهكذا تفعل العقيدة بأصحابها . فتراهم يعشقون الموت ويؤثرونه على الحياة من أجل نصرة دين الله ورفع راية التوحيد .

وهكذا نرى كيف يفعل هذا الفهم الصحيح فى قلوب أصحابه . وهذا الاعتقاد هو الذى أخرج أمثال ابن تيمية الذى تحدى حكام زمنه ـ الذين زجوا به فى السجن ـ قائلاً :« وماذا يفعل أعدائى بى ؟ إن قتلى شهادة وسجنى خلوة ، ونفيى سياحة فى سبيل الله » .

ثانياً : تحرره من الخوف على الرزق :

إن هذه العقيدة ترسخ فى قلوب أصحابها أن الرزق بيد الله ، وأنه لا يملك أحدٌ فى الدنيا بأسرها أن ينقص من رزق مخلوق شيئاً . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ﴾ [الذاريات : ٥٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] وقال تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ . فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات : ٢٢ ، ٢٣] .

إن كثيراً من الناس يخرسهم الحرص على لقمة العيش عن قول كلمة الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ظانين أن جبنهم وتقاعسهم عن مناصرة الحق وأهله يبقى هذه اللقمة ويزيدها ، وإذا ما أمروا بمعروف أو نهوا عن منكر توجسوا خيفة على رزقهم أن ينقص ونسوا أن الله سبحانه وتعالى هو الرزاق ذو القوة المتين .

وإذا كان الأمر كذلك فلا نامت أعين الجبناء ، ولا كان الجبن ولا الجبناء ، ولا كان الذل ولا الأذلاء .

ورحم الله الإمام الشافعى حين قال :

أنا إن عشت فلست أعدم قوتا وإن مت فلست أعدم قبـراً

همتى همـة الملـوك ونفـسى نفس حرٍ ترى المذلة كفـراً

لقد كان علماؤنا الأوائل يقولون الحق ولا يخشون على رزقهم ولا على شيء في هذه الحياة الدنيا ؛ لأنهم آمنوا بأن الرزق بيد الله، بل لقد كان الأمراء يطلبون من العلماء أن يرفعوا إليهم حاجتهم طمعاً في استدراجهم فيرفضون ذلك.

نماذج من السيرة :

١ ـ سفيان الثورى :

يدخل على أبى جعفر المنصور بمنى فيقول له أبو جعفر : ارفع إلينا حاجتك . فقال سفيان : اتق الله فقد ملأت الأرض جوراً وظلماً . فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال : ارفع إلينا حاجتك . فقال سفيان : إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعاً فاتق الله وأوصل حقوقهم . فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال: ارفع إلينا حاجتك . فقال سفيان : حجَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه : كم أنفقت ؟ قال : بضعة عشر درهماً . وأرى هاهنا أموالاً لا تطيق الجمال حملها . . . ألا فاتق الله ثم خرج [١] .

٢ ـ الشيخ سعيد الحلبى :

جلس ـ رحمه الله ـ يوماً فى الجامع الأزهر متكئا على عمود من

---

(١) أسس فى التصور الإسلامى ص٧٨ للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس.

أعمدته ، ومدَّ رجله ليستريح ، فدخل على الجامع إبراهيم بن محمد على حاكم مصر وطاغيتها فهرع الناس لاستقباله ، وبقى الشيخ سعيد على جلسته لم يتحرك ، وطاف إبراهيم بن محمد على فى جنبات المسجد حتى مر بالشيخ سعيد ، ووقف على رأسه والشيخ سعيد لا يعيره اهتماماً أو انتباهاً ولا يلتفت إليه ، فانصرف إبراهيم باشا إلى قصره ، وأرسل صرة من الذهب يستميل بها الشيخ ويفتنه ، ولما قدم سفير الباشا إلى الشيخ وأبلغه تحيات الباشا ، وأنه يحترمه وقد أرسل إليه بهذه الصرة من الذهب تكريما له ، فنفر الشيخ وكأن ثعباناً قد لدغه وقال للسفير: قل لإبراهيم :إن الذى يمد رجله لا يمد يده [١] .

وهكذا علَّمت العقيدة أبناءها أن يقولوا كلمة الحق ولا يخشون أحداً إلا الله .

ثالثاً : تحرره من الأنانية والشح والجشع :

إن الإنسان بطبعه يحب المال حباً كثيراً ، قال تعالى : ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر :٢٠] ، وقال تعالى يصف الإنسان :﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات :٨] ولشدة حب الإنسان للمال فإنه يبخل عن نفسه وعن أخيه الإنسان ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ

---

(١) أسس فى التصور الإسلامى ص٧٩ : للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس.

قَتُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٠] ، ويبين الرسول ﷺ جشع الإنسان وطمعه فيقول : « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب » [(١)] .

وحين تتغلغل العقيدة الإسلامية فى نفسه فإنها تحرره من الأنانية وحب المال وحب الذات بل تجعله يضحى بنفسه من أجل غيره ، ولا يزاحم إخوانه تزاحماً يفسد الأخوة والمودة بينهم .

إن هذه العقيدة تعلم الإنسان الإيثار ،وأى إيثار أعظم من أن يجود الإنسان بطعامه وطعام صبيانه من أجل ضيفه ، ويبيت هو وصبيانه على الطوى ، حتى ينزل الله فيه قرآناً يتلى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] .

يقول أبو هريرة رضي الله عنه : أتى رجل لرسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابنى الجهد ، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : « ألا رجل يضيف أخاه هذه الليلة يرحمه الله » ، فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، فذهب إلى أهله فقال لامرأته : ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً .

---

(١) مسلم : فى الزكاة (١٠٤٨ / ١١٦) ، والترمذى فى الزهد (٢٣٣٧) ، وابن ماجه فى الزهد (٤٢٣٥) .

قالت : والله ما عندى إلا قوت الصبية .

قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى ، فأطفى السراج، ونطوى بطوننا الليلة ففعلت ، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ ، فقال : « لقد عجب الله عز وجل - أو ضحك - من فلان وفلانة، فأنـزل الله عـز وجـل ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩][1].

نموذج من السيرة :

أبو الدحداح رضي الله عنه :

لما نزل قول الله تعالى :﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة : ٢٤٥] قال أبو الدحداح: فداك أبى وأمى يا رسول الله ، إن الله استقرضنا وهو غنى عن القرض ؟ قال :« نعم ، يريد أن يدخلكم الجنة به » . قال أبو الدحداح : فإنى إن أقرضت ربى قرضاً يضمن لى به ولأم الدحداح، ولصبيانى معى الجنة ؟قال :« نعم». قال أبو الدحداح : فناولنى يدك . فناوله رسول الله ﷺ يده فقال أبو الدحداح : إن لى حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية ، ووالله لا أملك غيرهما ، قد جعلتهما قرضا لله تعالى .قال رسول

(١) البخارى : فى التفسير (٤٨٨٩) .

الله ﷺ :« اجعل إحداهما لله،والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك» قال : فأشهدك يارسول الله أنى قد جعلت خيرهما لله تعالى ، وهو حائط فيه ستمائة نخلة ، قال :« إذاً يجزيك الله به الجنة ».

فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح وهى مع صبيانها تدور تحت نخل فأنشد يقول :

هداك ربى سبل الرشاد   إلى سبيل الخير والسداد

بينى من حائط الوداد   قد مضى قرضاً إلى التناد

أقرضته الله على اعتمادى   بالطوع لا منٍّ ولا ارتداد

إلا رجاء الضعف فى المعاد   فارتحلى بالنفس والأولاد

والبر لا شك خير زاد   قدمه المرء إلى المعاد

قالت أم الدحداح : ربح بيعك ، بارك الله لك فيما اشتريت ، ثم أجابته أم الدحداح وأنشدت تقول :

بشرك الله بخير وفرح   مثلك أدى ما لديه ونصح

قد متع الله عيالى ومنح   بالعجوة السوداء والزهو البلح

والعبد يسعى وله ما قد كدح   طول الليالى وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تخرج ما فى أفواههم،

وتنفض ما فى أكمامهم ، حتى أفضت إلى الحائط الآخر فقال النبى ﷺ : «كم من عَذْقٍ ردَّاح ودار فياح لأبى الدحداح» (١) .

رابعاً : تربى فى نفسه يقظة الضمير :

وحين يعتقد المسلم أن الله عز وجل يعلم السر وأخفى، وأن الله يراقبه فى كل أحواله ،يقلع عن المعاصى لأن المعاصى تدل على ضعف الضمير عند من يرتكبها .

فالضمير الحى هو الذى يمنع صاحبه من انتهاك محارم الله ، وصاحب الضمير الحى لا يسرق ولا يخون ، بل يكون أميناً على القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وإن كان فقيراً معسراً .

أما صاحب الضمير الميت فيستمرئ المعاصى ويعتادها فى قلبه كالكافر الفاسق ، وأما المسلم الصادق حين تتغلغل العقيدة فى قلبه وانتابته لحظة ضعف فوقع فى المعصية ، فإنه يثوب إلى رشده ويستيقظ ضميره ، ويهرع إلى التوبة والاستغفار .

(١) تفسير القرطبى : ٣ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، وانظر: أسس فى التصور الإسلامى ص٨٦ للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس ، وانظر أيضاً :الإيمان والحياة ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ للقرضاوى .

نماذج من السيرة :

١ ـ ماعز بن مالك الأسلمي :

فقد جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني زنيت ، فأعرض عنه النبي ﷺ فتنحى لشق وجهه الذى أعرض قبله فقال : يارسول الله إني زنيت ، فأعرض عنه النبي ﷺ فجاء لشق وجه النبي ﷺ الذى أعرض عنه ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبي ﷺ فقال :« أبك جنون ؟ » قال : لا يا رسول الله . فقال : « أحصنت ؟» قال :نعم يا رسول الله .قال:« اذهبوا فارجموه» [١] .

٢ ـ الغامدية :

عندما جاءت فقالت : يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني ؛ فردها رسول الله ﷺ ، فلما كان الغد قالت : يا رسول الله لم تردني ؟ لعلك تردني كما رددت ماعزاً فوالله إني لحبلى . قال : فاذهبي حتى تلدي . فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة ، قالت : هذا قد ولدته ، قال : اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه ، فلما فطمته أتت بالصبي في يده كسرة خبز ، فقالت : هذا يا رسول الله قد فطمته ، وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر

---

(١) البخاري : في الحدود (٦٨١٥) ،ومسلم : في الحدود (١٦٩١/١٦).

بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجهه ، فسبها فسمع النبى ﷺ سبه إياها . فقال :« مهلاً يا خالد ، فو الذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ». ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت (١) .

٣ ـ أبو حنيفة :

عندما بعث بمتاع إلى حفص بن عبد الرحمن شريكه فى التجارة، وأعلمه أن فى ثوب منه عيباً فبيِّنه للناس ، فباع حفص المتاع ، ونسى أن يبين واستوفى ثمنه كاملاً لثوب غير كامل ، وقيل: إن الثمن كان ثلاثين ألفا أو خمسة وثلاثين ألفا ، فأبى أبو حنيفة إلا أن يبعث لشريكه يكلفه أن يبحث عن المشترى ، ولكنه لم يهتد إلى الرجل ، فأبى أبو حنيفة إلا فصالاً من شريكه ، ورفض أن يضيف ثمن الثوب إلى ماله وتصدق به (٢) .

خامساً : تحرره من الظلم :

الإسلام الحنيف دين ربانى ، لا يخضع للأهواء والرغبات ، نزل بالعدل ، وحرم الظلم ، فالظلم ظلمات يوم القيامة ، حرمه الله على نفسه وجعله محرماً بين خلقه ، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه

---

(١) مسلم : فى الحدود (١٦٩٥/٢٣) .

(٢) أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح فى الإسلام . عبد الحليم الجندى .

عن ربه: « يقول الله تعالى : يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا . . . » (١). وكون العقيدة الإسلامية ربانية والشريعة منبثقة منها فقد جاءت بالعدل والمساواة بين الأعداء والأصدقاء على حد سواء . قال تعالى : ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة:٨] أى لا يحملنكم بغض قوم على ظلمهم ، وفى الوقت ذاته لا يحملنكم حب قوم على محاباتهم وتفضيلهم على الآخرين . قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام :٥٢].

أما عن العدل بين الناس ، وإقامة الشرع الإلهى دون النظر إلى قرابة أو نسب فقد أراد الرسول ﷺ أن يرسخه فى نفوس أصحابه رضوان الله عليهم .

نماذج من السيرة :

١ ـ المرأة المخزومية :

حين سرقت ، أرسلت قريش أسامة بن زيد يشفع لها عند رسول الله ﷺ فغضب النبى ﷺ ، وقال لأسامة :« أتشفع فى حد من

---

(١) مسلم فى البر والصلة (٢٥٧٧/ ٥٥) ، والترمذى : فى صفة القيامة (٢٤٩٥) ،وابن ماجه: فى الزهد (٤٢٥٧) .

حدود الله ؟» ثم قام فخطب فقال: « يا أيهاالناس ، إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وايمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » (١) . وقطع رسول الله ﷺ يد المخزومية إحقاقاً للحق ، وإقامة للعدل الذى بُعث الرسل لإقامته فى الأرض (٢) .

٢ ـ عبد الله بن رواحة الأنصارى :

يرسله النبى ﷺ ليخرص ثمار خيبر حتى يبقى نصف الثمار لليهود ، ويأخذ النصف الآخر للمسلمين تطبيقاً للاتفاقية التى عقدها رسول الله ﷺ ، ولما حضر إلى خيبر حاول اليهود رشوته ،فقدموا له صرة من الذهب ،فقال : أترشونى ياأعداء الله ،والله إنكم لأبغض إلىَّ من القردة والخنازير ، ولمحمد أحب إلىَّ من نفسى التى بين جنبى، ولكن بغضى لكم وحبى لمحمد ﷺ لا يمنعنى أن

(١) البخارى : فى الحدود (٦٧٨٨) ، ومسلم : فى الحدود (١٦٨٨/ ٩) والنسائى: فى قطع السارق (٤٨٩٤) ، وأحمد ٦/ ١٢٦ ،أبو داود :فى الحدود (٤٣٩٥) ، والنسائى : فى قطع السارق (٤٨٨٩ ، ٤٨٩٢) .

(٢) انظر: أسس فى التصور الإسلامى ص ١١٦ .

أعدل لأن الله يقول: ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة: ٨] فخرص الثمار دون أن يظلم طرفاً من الطرفين (١) .

سادساً : تُسكب الطمأنينة فى قلبه والسعادة فى أعماقه :

وهذا يجعله يترفع على الصغائر وسفاسف القول والعمل ويهتم بما عظم من الأمور .

وهذا يربى عنده التضحية والبذل حتى إنه ليبذل روحه فى سبيل الله طمعاً فيما هو أكبر من النفس والأرض وهو الجنة ، ولعلنا نذكر ما قاله خالد بن الوليد رضي الله عنه لملك الروم : « جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » .

وهذه التربية الإسلامية أو العقيدة الإسلامية هى التى جعلت المرأة من بنى عبد الدار وهى نسيبة بنت كعب الأنصارية عندما أخبرت باستشهاد زوجها وأخيها وأبيها تقول : وكيف حال رسول الله ﷺ ؟ فقالوا لها : هو بخير والحمد لله .قالت : أرونيه حتى أطمئن ، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل يارسول الله (٢) .

---

(١) الظلال : ٢/٧٧٦ .

(٢) تربية الأولاد فى الإسلام ص ٩٤٥ للدكتور عبد الله ناصح علوان .

ورجال العقيدة يفعلون ذلك كله وهم مطمئنون لأن هذا هو الطريق ولا طريق غيره لتحقيق موعود الله عز وجل ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥] .

سابعاً : تدفعه إلى المعالي وتجعله يأبى العيش الذليل :

إن من أهم ما ترمي إليه هذه العقيدة هو تحرير أصحابها من عقدة الخوف مما سوى الله ودفعهم إلى دروب العزة الإيمانية الشامخة ليكونوا رجال صدق وجند حق من الذين يصدق عليهم وصف ربهم : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب:٣٩] ، وإننا لنلحظ ذلك في سيرة الرسول ﷺ وحرصه الواضح على تحرير نفوس أتباعه من تلك العقدة ، بل نجده يحذر أتباعه من الخنوع والرضا بالواقع السيئ فيقول : « . . . كلا ، والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله

بقلوب بعضكم على بعض ....» (١)، وقد فقه سلفنا الصالح هذه التوجيهات فانطلقوا أسوداً في ميادين الحياة يُقوِّمون ما اعوج ، ويردون كل شارد إلى الجادة بكل ما أوتوا من قوة الإمداد الرباني ، وعزيمة المجاهد الأبي ، فسطروا عبر سفر الحياة صفحات من نور أعلى الله بها ذكرهم .

نموذج من السيرة :

أبو مسلم الخولاني :

روى أن معاوية رضي الله عنه حبس العطاء فقام إليه أبو مسلم الخولاني فقال : يا معاوية إنه ليس من كدك ولا كد أبيك ولا من كد أمك فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال : مكانكم وغاب عن أعينهم ساعة ، ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال : إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :« إن الغضب من الشيطان ، والشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل » ، وإني دخلت فاغتسلت ، وصدق أبو مسلم ، إنه ليس من كدي ولا من كد أبي فهلموا إلى

---

(١) أبو داود : في الملاحم (٤٣٣٦) ، والترمذي : في التفسير (٣٠٤٧) ، وقال : « حسن غريب » .

عطائكم [١] .

لقد صدع أبو مسلم بما رآه من الحق أمام أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وصاحب رسول الله ﷺ وكاتب وحيه ؛ إذ ليس لأحد عصمة بعد المعصوم ﷺ، وكلمة الحق لا تعنى بحال الخروج عن الطاعة أو نقض البيعة لمن ارتضاه المسلمون لإقامة شرع الله فيهم ، لذا فقد أذعن معاوية للحق ، وأقر بصحة مقولة أبى مسلم وله فى الفاروق رضي الله عنه أسوة عندما قال مخاطباً رعيته يوماً : من رأى منكم فىَّ اعوجاجاً فليقومه ، فقام إليه أحد أفراد الرعية قائلاً: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا ، فيقول عمر : الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بسيفه.

إنه نموذج من نماذج الجرأة عند السلف الذين امتلأت قلوبهم بخشية الله فلم يعد فيها متسع للخوف مما سواه ؛ إذ كل ما فوق التراب تراب ، ورحم الله عمر بن عبد العزيز إذ يقول : كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقانى الله شره .

ثامناً : تعين على تكوين الشخصية المتزنة :

التى تميزت فى هذه الحياة وجهتها ، وتوحدت غايتها، وتحدد

---

(١) من مقال بمجلة المجتمع الكويتية عدد ربيع ١٤١٦ هـ : محمود شوقى الأسطل.

طريقها ،فليس لها إلا إله واحد تتجه إليه فى الخلوة، وتدعوه فى السراء والضراء ، بخلاف المشرك الذى تقسمت قلبه الآلهة وتوزعت حياته المعبودات فحينا يتجه إلى الله وأحياناً إلى الأصنام ، وحينا إلى هذا الصنم ، وحينا إلى ذاك .

ومن هنا قال يوسف عليه السلام : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف : ٣٩] ،وقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا ﴾ [الزمر : ٢٩] . مَثَّل الله المؤمن بعبد له سيد واحد عرف ما يرضيه وما يسخطه، فوقف عند ما يرضيه واستراح إليه ، ومثل المشرك بعبد له أكثر من سيد ، هذا يوجهه إلى الشرق وذاك إلى الغرب ، وهذا يأخذه إلى اليمين وآخر إلى اليسار وهو بينهم مشتت موزع لا ثبات له ولا قرار (١) .

نموذج من السيرة :

إبراهيم عليه السلام :

يستنكر ما كان يعبده أبوه وقومه من أصنام كهذه الأصنام التى يعبدها المشركون فى مكة ، وهو يخالف أباه وقومه فى شركهم وينكر

(١) حقيقة التوحيد ص ٨٢ ، ٨٣ د / يوسف القرضاوى .

عليهم ما هم عليه من ضلال ،ويسألهم فى عجب واستنكار : ﴿ مَا تَعْبُدُون ﴾ قالوا : ﴿ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِين ﴾ .

وهم كانوا يسمون أصنامهم آلهة فحكاية قولهم : إنها أصنام تنبئ بأنهم لم يملكوا إنكار أنها أصنام منحوتة من الحجر وأنهم مع ذلك يعكفون لها ، ويدأبون على عبادتها ، وهذه نهاية السخف ولكن العقيدة متى زاغت لم يفطن أصحابها إلى ما تنحط إليه عبادتهم وتصوراتهم ومقولاتهم .

ويأخذ إبراهيم عليه السلام يوقظ قلوبهم الغافية وينبه عقولهم المتبلدة، إلى هذا السخف الذى يزاولونه دون وعى : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ لكنه لا يجد عند القوم من جواب إلا أنهم قالوا : ﴿ بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُون ﴾ .

وأمام هذا التحجر لم يجد إبراهيم عليه السلام إلا أن أن يهزهم بعنف، ويعلن عداوته للإصنام وللعقيدة الفاسدة فيقول: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ثم أخذ فى بيان صفة رب العالمين وصلته به فى كل وقت وفى كل حين ، أخذ يحدد وجهته وغايته فيقول : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي

أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ . رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء : ٧٨ ـ ٨٣] .

وهكذا نرى إبراهيم عليه السلام يجمع فى وصفه ربه عناصر العقيدة الصحيحة : توحيد الله رب العالمين ،والإقرار بتصريفه للبشر فى أدق شئون حياتهم على الأرض (١) .

ثم نجده يحدد غايته ووجهته فى وضوح جلى فى سورة الأنعام فيقول : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام : ٧٩].

تاسعاً : وهى أساس الإخاء والمساواة :

لأن الأخوة والمساواة لا تتحققان فى حياة الناس إذا كان بعضهم أربابا لبعض ، فأما إذا كانوا كلهم عباد الله ، فهذا هو أصل المساواة والإخاء بين الناس ، ولهذا كانت دعوة رسول الله ﷺ إلى ملوك الأرض ورؤساء الدول تختتم بهذه الآية الكريمة ﴿ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وكان من أدعية النبى ﷺ عقب الصلوات هذا الدعاء الرائع

---

(١) الظلال : ص ٢٦٠٢ ، ٢٦٠٣ بتصرف .

العظيم: « اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه ، أنا شهيد أنك أنت الله وحدك لا شريك لك ، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه ، أنا شهيد أن محمداً عبدك ورسولك ، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه ، أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة » (١) .

وهكذا رأينا رسول الله ﷺ يترجم هذا المعنى إلى واقع عملى فنجده يؤاخى بين سلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى وغيرهم وإخوانهم المسلمين من أهل مكة والمدينة ، ونجده يقرر أن عباد الله أخوة متساوون ، فلا تمييزا عنصريا ، ولا تفرقة بين الألوان ، ولا تفاضل بالأنساب ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُم ﴾ [الحجرات: ١٣] ، لذا فإن رباط الإخوة بين المؤمنين يجعلهم ينتسبون إلى أب واحد ، يعتزون بشرف الانتساب إليه ويقدمون فى سبيل إعزازه دماءهم وأموالهم وأبناءهم . إن هذا الأب هو الإسلام ومن ثم فلا تعجب من الشاعر المسلم حينما يقول :

أبى الإسلام لا أب لى سواه   إذا افتخروا بقيس أو تميم

---

(١) أحمد (٤ / ٣٦٩) .

ثانياً : أثر العقيدة فى حياة المجتمع

تحدثنا عن أثر العقيدة فى حياة الفرد وخلصنا إلى أن الشخصية المسلمة التى بنتها العقيدة هى شخصية رجل مطمئن النفس ، هادئ البال ، قرير العين ، ليس بالقلق ولا بالحيران لأنه يعلم أن الله واحد وأن هذا الكون كله من خلق الله .

وأما عن المجتمع الذى صنعته العقيدة فهو :

١ ـ مجتمع آمن :

كل فرد من أفراده آمن على عرضه : فالزنا من أكبر جرائمه يستحق عليها المحصن عقوبة الموت رجماً بالحجارة . وهو آمن من أن يمس جنابه بكلمة سواء كانت كلمة قذف فى عِرض إذ أن هذه الكلمة توجب جلد ثمانين أمام الناظرين .

وهو آمن على ماله : فالسرقة كبيرة ومن سُرق من ماله شيء ولو ضئيل فإن هذا الشيء الضئيل يعرض يد السارق للقطع .

وهو آمن على نفسه: فكل يد تمتد لتسفك دمه ظلماً لن يكتب

لها البقاء، فهذا المجتمع فيه: ﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاص . . . ﴾ [المائدة : ٤٥][١].

٢ ـ مجتمع متحاب :

أفراده كلهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، مجتمع إذا صاحت فيه امرأة مستغيثة فى عمورية هبَّ الخليفة لنجدتها من بغداد وتحرك الجيش بأسره لمجرد صرخة ألم انطلقت من فم امرأة مسلمة . وصدق رسول الله ﷺ حين قال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٢]، « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ثم شبك بين أصابعه [٣].

٣ ـ مجتمع متجرد من الهوى :

وذلك لأن الهوى من أعظم أبواب الشيطان إلى قلوب العباد ، لذا فقد حذر الله نبيه داود عليه السلام ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ

---

(١) أثر العقيدة فى بناء الجيل ص ٩٨ : للدكتور عبد الله عزام .

(٢) البخارى : فى الأدب (٦٠١١) ، ومسلم : فى البر والصلة (٢٥٨٦ / ٦٦) ، وأحمد (٤/ ٢٦٨، ٢٧٤) .

(٣) البخارى : فى الصلاة (٤٨١) ، ومسلم: فى البر والصلة (٢٥٨٥/ ٦٥).

فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص :٢٦] . ولذلك كان الشافعي ـ رحمه الله ـ يقول: ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ، وما ناظرت أحداً فباليت أظهر الحق على لسانه أو لساني. ولله در من قال :

خالفْ هواكَ إذا دعــاك لريبة　　　فلرب خير في مخالفة الهوى

٤ ـ مجتمع منصف يكره التعصب :

فلقد سئل الإمام على ﷺ عمن خالفوه وقاتلوه: أكفارٌ هم ؟ فقال : بل من الكفر فروا . فقيل : أمنافقون إذن ؟ فقال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا ، فقيل : ماذا تقول فيهم إذن؟ فقال : هم إخواننا بغوا علينا .

فنظرة المؤمن المنصف في هذا المجتمع لا تحمله الخصومة على الفجور كما هو ديدن المنافقين .

يقول الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ محذراً من التعصب للرأي : إن التعصب للرأي سبب يرسخ الضغائن في النفوس وهو من آفات علماء السوء ، فإنهم يبالغون في التعصب وينظرون إلى المخالفين بعين الاحتقار والازدراء .

نماذج من السيرة :

١ ـ عثمان بن عفان ﷺ :

في عهد عمر بن الخطاب ﷺ أصاب الناس قحط وشدة ، وكانت قافلة من الشام مكونة من ألف جمل عليها أصناف الطعام واللباس قد حلت لعثمان ﷺ فتراكض التجار عليه يطلبون أن يبيعهم هذه القافلة ، فقال لهم : كم تعطوني ربحاً ؟ قالوا : خمسة في المائة .قال : إني وجدت من يعطيني أكثر ، فقالوا : ما نعلم في التجار من يدفع أكثر من هذا الربح ؟ فقال لهم عثمان: إني وجدت من يعطيني على الدرهم سبعمائة فأكثر ، إني وجدت الله يقول : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . . ﴾ [البقرة : ٢٦٠] . أشهدكم ـ يا معشر التجار ـ أن القافلة وما فيها من بُرّ ، ودقيق ، وزيت وسمن . . . وهبتها لفقراء المسلمين، وإنها صدقة على المسلمين [١] . وهكذا خلقت العقيدة مجتمع المحبة والأخوة والتكافل .

٢ - الليث بن سعد :

كان ذا غلة تزيد على سبعين ألف دينار ، وتصدق بها كلها حتى قالوا: إنه لم تجب عليه زكاة قط ، واشترى مرة داراً بيعت بالمزاد ،

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام ص ٣٦٠ للدكتور عبد الله ناصح علوان .

فذهب وكيله يتسلمها ، فوجد فيها أيتاماً وأطفالاً صغاراً ، سألوه بالله أن يترك لهم الدار ، فلما بلغ ذلك الليث أرسل إليهم أن الدار لكم ومعها ما يصلحكم كل يوم [١] .

٥ ـ مجتمع يحرص على صفاء القلوب وبقاء المحبة والأخوة :

فهو مجتمع نجد فيه الإمام أحمد يختلف مع الشافعى فلا يؤثر هذا فى أخوتهما وتستمر الزيارات والصلة بينهما وفى هذا يقول الشافعى :

قالوا: يزورك أحمد وتزوره ... قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زارنى فبفضله أو زرته ... فلفضله فالفضل فى الحالين له

وكان الإمام أحمد يقول عن الشافعى: لقد كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافية للجسد وهل لهذين من خلف أو عنهما من عوض .

وكان يقول أيضا: ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعى. وكان الشافعى إذا نزل المدينة يحل ضيفاً على الإمام مالك على الرغم من مخالفته إياه فى كثير من المسائل .

وها هو الليث بن سعد وعلى الرغم من اختلافه مع الإمام مالك كان يدعو الله أن ينقص مدة من عمره ويزيدها فى عمر مالك .

---

(١) حين يجد المؤمن حلاوة الإيمان ص ٢٧ ، ٢٨ للدكتور عبد الله ناصح علوان.

٦ ـ مجتمع متراص ومتماسك لا خلل فيه ولا جيوب :

فلا يستطيع أى جسم غريب أن يتخلل فيه .

نموذج من السيرة :

كعب بن مالك :

عندما حاول ملك غسان أن يراوده فى أزمته التى وصفها القرآن ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْه ﴾ [التوبة :١١٨] . وفى الوقت الذى قاطعته فيه المدينة بأسرها كما يقول كعب فى رواية البخارى : ونهى النبى عن كلامى وكلام صاحبىَّ . . . (١) .

يقول : فبينما أنا أمشى بسوق المدينة إذ بنبطى من أنباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه فى المدينة يقول : من يدلنى على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له حتى جاء فدفع إلىَّ كتاباً من ملك غسان ، وكتب كتاباً . فإذا فيه : أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، وأن الله لم يجعلك فى دار هوان ، ولا مضيعة فالحق بنا نواسك . قال : فقلت حين قرأته : وهذا أيضاً من البلاء . قال : فتيممت به التنور فسجّرته به (٢) .

---

(١) البخارى : فى المغازى (٤٤١٨) ، ومسلم : فى التوبة (٢٧٦٩ / ٥٣) .

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٣٩٨ وعنه نقل د / عبد الله عزام فى أثر العقيدة فى بناء الجيل .

٧ ـ مجتمع يرسم أفراده الطاعة التامة لقائده :

نماذج من السيرة :

١ ـ أبو حنيفة النعمان:

فلقد منعه الخليفة المنصور من الإفتاء ، وفى إحدى الليالى جُرح أصبع ابنته فجاءته تسأله عن تأثير الدم على وضوئها فقال : اسألى حماداً ، فلقد منعنى أميرى من الإفتاء وما كنت لأعصى أميرى بالغيب .

٢ ـ المقداد بن عمرو :

عندما قال لرسول الله ﷺ قبل قتال المشركين فى بدر: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك ،والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه (١) .

٣ ـ حذيفة بن اليمان :

فى غزوة الأحزاب عندما طلب رسول الله ﷺ من جنوده فرداً يأتيه بخبر قريش ، يقول حذيفة : كنا تلك الليلة صافين قعوداً وأبو سفيان ومن معه من مشركى مكة فوقنا وبنو قريظة من اليهود أسفل

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام : ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

منا نخافهم على نسائنا وذرارينا وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أقوى ريحاً منها ، فأصوات ريحها مثل الصواعق وشدة ظلامها تجعل أحدنا ما يرى أصبعه ، عند ذلك قام النبى ﷺ وجعل يمر بنا واحداً واحداً حتى أتى إلىَّ وما علىَّ شىء يقينى من البرد إلا مرط لامرأتى ما يجاوز ركبتى ، فاقترب منى وأنا جاثٍ على الأرض وقال : من هذا؟ فقلت: حذيفة . قال: «حذيفة ؟ » فتقاصرت إلى الأرض كراهية أن أقوم من شدة الجوع والبرد وقلت: نعم يا رسول الله، فقال: إنه كائن من القوم خبر فتسلل إلى عسكرهم وائتنى بخبرهم فخرجت وأنا من أشد الناس فزعاً وأكثرهم برداً فقال رسول الله ﷺ :« اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته » فوالله ما تمت دعوة النبى ﷺ حتى انتزع الله من جوفى كل ما أودعته فيه من خوف وأزال من جسدى كل ما أصابه من برد فلما وليت نادانى عليه الصلاة والسلام وقال :« يا حذيفة لا تحدث فى القوم شيئا حتى تأتينى » فقلت : نعم ومضيت أتسلل فى جنح الظلام حتى دخلت فى جند المشركين وصرت كأنى واحد منهم [1] .

٨ ـ مجتمع الجهاد فى سبيل الله سبيله إلى العزة والريادة والسعادة :

فهو يعلم أن الحياة قصيرة وما أحراه فى مجالها أن يكون العز

---

(١) الكامل فى التاريخ لا بن الأثير ٢ / ٧٤ ،والسيرة النبوية لا بن هشام ٣/ ١٨٢ .

رائده ، والشرف غايته ، والجهاد فى سبيل الله تاجه المرصع بنبضات القلوب وحرارة المشاعر .

ولقد صور رسول الله ﷺ شرف الجهاد والاستشهاد بقوله: «طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه ،مغبر قدماه، إن كان فى الساقة كان فى الساقة وإن كان فى الحراسة كان فى الحراسة »(١) .

ويحدثنا التاريخ أن النبى ﷺ قال فى بدر :« قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » فقال عمير بن الحمام : بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ :« لم ؟ » قال : رجاءة أن أكون من أهلها فأخذ تمرات فجعل يلوكهن ثم قال : والله إن بقيت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة ، فنبذهن (٢) ، وهو يقول :

ركضاً إلى الله بغير زاد   إلا التقى وعمل المعاد

والصبر فى الله على الجهاد   وكل زاد عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد

---

(١) البخارى : فى الجهاد (٢٨٨٧) .

(٢) مسلم : فى الإمارة (١٩٠١/١٤٥) ، وأحمد (٣ / ١٣٦ ، ١٣٧) .

وما زال يقاتل حتى قتل .

وها هو ذا خالد بن الوليد سيف الله المسلول والبطل المقدام الذى شهد المواقع التى يشيب لها الولدان كانت أمنيته أن يظفر بالشهادة ، ولكنه لم يقدر له ذلك رغم تعرضه للموت مئات المرات وهنا يملأ القلب حزنه فيقول فى أسف مؤلم: « لقد طلبت القتل فى مظانه ، فلم يقدر لى إلا أن أموت على فراشى وما من عمل شىء أرجى عندى بعد أن لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس ، والسماء تهطلنى بمطر إلى الصبح حتى نغير على الكفار ثم قال : إذا أنا مت فانظروا فى ملابسى وفرسى فاجعلوه عدة فى سبيل الله [1] .

(١) من الدراسات الإسلامية ص ٨٠ د / عبد العال سالم مكرم .

ثالثاً : حاجة الأمة إلى رجال العقيدة

إن الأعاصير حول سفينة الإسلام عاتية ، وحتى تصل بأمان إلى الشاطئ علينا أن نُعِدّ العدة من الإيمان والعقيدة والأخلاق ،ونربى المسلم على التجرد والصدق ونوحد الجهد ونجمع القوى فكلنا غاية واحدة وهدف واحد وشعار واحد ألا وهو ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه : ٨٤] .

إن قوة الأمم أو ضعفها إنما تقاس بخصوبتها من إنتاج الرجال الذين تتوفر فيهم شروط الرجولة الصحيحة ، وإنى أعتقد ـ والتاريخ يؤيدنى ـ أن الرجل الواحد فى وسعه أن يبنى أمة لو صحت رجولته، وفى وسعه أن يهدمها كذلك إذا توجهت هذه الرجولة إلى ناحية الهدم لا ناحية البناء .

ولقد روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة » (١) .

قال ابن حجر فى تعليقه على هذا الحديث : لا تجد فى مائة إبل

(١) مسلم : فى فضائل الصحابة (٢٥٤٧ / ٢٣٢) ، والترمذى : فى الأمثال (٢٨٧٢) ، وأحمد (٢ / ٤٤) .

راحلة تصلح للركوب ، لأن الذى يصلح للركوب ينبغى أن يكون وطيئا ، سهل الانقياد ، وكذا لا تجد فى مائة من الناس من يصلح للصحبة بأن يعاون رفيقه ويلين جانبه وما أحكم قول شوقى :

حل بالمشرقين خطب جليل رجل مات والرجال قليل

يقول الدكتور القرضاوى : رحم الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قال لأصحابه وهم يجلسون بدار من دور المدينة : تمنوا . فقال أحدهم : أتمنى أن هذه الدار مملوءة ذهبا أنفقه فى سبيل الله ، ثم قال عمر : تمنوا. فقال رجل آخر: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً وجوهراً أنفقه فى سبيل الله وأتصدق به . ثم قال: تمنوا . فقالوا : ما ندرى ما نقول يا أمير المؤمنين .فقال عمر : ولكنى أتمنى رجالاً مثل أبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى حذيفة فأستعين بهم على إعلاء كلمة الله .

رحم الله عمر الملهم ، لقد كان خبيراً بما تقوم به الحضارات الحقة وتنهض به الرسالات الكبيرة وتحيا به الأمم الهامدة [1].

رجل بألف :

إن هذا الصنف من الناس ، هم الرجال ، وهم الأحرار الذين

---

(١) من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا ص ١٢٣ ، طبعة الوفاء .

بهم تنهض الأمم وترتقى ، وهم العملة النادرة التى قلما أن تقع عليها الأعين ، وفيهم يقول الشاعر :

ما أكثر الناس بل ما أقلهم والله يعلم أنى لم أقل فنداً
إنى لأغلق عينى ثم أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحداً

ويقول آخر :

ما بقى فى الإنس حر لا ولا فى الجن حر
قد مضى حى الفريقين فحلو العيش مر

إن هذا الصنف إن وُجد فى أمة أحياها من موات ، وبعثها من رقاد ، وبلغة الأرقام يعدل الألف أو يزيد أو يزن شعباً بأسره ، وقد قيل : رجل ذو همة يحيى الله به أمة . وصدق الله إذ يقول : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠ ـ ١٢٢] .

يقول المفسرون : « إن اللفظ يحتمل أن إبراهيم كان أمة كاملة بما فيها من خير وطاعة وبركة ،ويحتمل أنه كان إماماً يقتدى به فى الخير ، وأن الإمام الذى يهدى إلى الخير هو قائد أمة وله أجره وأجر من عمل بهدايته من الناس فكأنه أمة فى خيره وثوابه لا فرداً واحداً .

نماذج من السيرة :

١ ـ فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق ﷺ :

عندما حاصر خالد بن الوليد ﷺ الحيرة طلب من أبى بكر مدداً فلم يرسل له إلا رجلاً واحداً هو « القعقاع بن عمرو » ثم قال: لصوت القعقاع فى الجيش خير من ألف مقاتل .

وما أجمل قول من قال :

إذا كان فى ألف من القوم فارس مطاع فإن القوم فى ألف فارس

ولقد قال بعض الحكماء : ألف ثعلب يقودها أسد خير من ألف أسد يقودها ثعلب .

٢ ـ فى عهد عمر بن الخطاب :

عندما أبطأ فتح مصر على عمرو بن العاص ، كتب إلى أمير المؤمنين يستمده بثمانين ألف رجل فأمده بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجلٍ رجلٌ منهم مقام الألف : الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، وسلمة بن مخلد ، ثم قال له : واعلم أن معك اثنى عشر ألفا ، ولا تغلب اثنا عشر ألف من قلة . ويروى أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج فى جنازة خالد بن الوليد ﷺ بالمدينة ، وإذا بأمه تندبه ، وتقول :

أنت خير من ألف ألف من القوم هم إذا ما كبت وجوه الرجال

فقال عمر ﷺ : صدقت إنه كان كذلك .

رجل العقيدة الذى ننشده

إن الرجل الذى ينشده الإسلام إنما هو الرجل الحر الذى يحمل « عقيدته » فى حنايا قلبه وفؤاده ، ويجوب بها الآفاق داعياً إليها عاملاً على رفع رايتها ، وإبلاغها للعالمين مضحيا فى سبيل ذلك بماله ونفسه ، موفياً ببيعته مع الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

يقول الدكتور القرضاوى : إن الرجولة ليست بالسن المتقدمة فكم من شيخ فى سن الأربعين وقلبه فى سن السابعة ، يفرح بالتافه، ويبكى على الحقير ، ويتطلع إلى ما ليس له ويقبض على ما فى يده قبض الشحيح حتى لا يشركه غيره فهو طفل صغير ولكنه ذو لحية وشارب .

وكم من غلام فى مقتبل العمر ولكنك ترى الرجولة المبكرة فى قوله وعمله وتفكيره .

ولقد مر عمر بن الخطاب رحمه الله على ثلة من الصبيان يلعبون

فهرولوا إلا واحداً ظل فى مكانه هو عبد الله بن الزبير فسأله عمر : لم لمْ تعد مع أصحابك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لم أقترف ذنباً فأخافك ، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسعها لك ، فقال عمر رضي الله عنه له: إنك رجل مثل أبيك .

ودخل غلام عربى على خليفة أموى يتحدث باسم قومه فقال له الخليفة : ليتقدم من هو أسن منك . فقال : يا أمير المؤمنين ، لو كان التقدم بالسن لكان فى الأمة من هو أولى منك بالخلافة .

أولئك لعمرى هم الصغار الكبار وفى دنيانا ما أكثر الكبار الصغار

وليست الرجولة ببسطة الجسم وطول القامة وقوة البنية فقد قال الله عن طائفة من المنافقين : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ [المنافقون: ٤] ، ومع هذا فهم ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ ، وفى الحديث الصحيح : « يأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥] (١) .

وقد كان عبد الله بن مسعود نحيفاً نحيلاً فانكشفت ساقاه يوماً وهما دقيقتان هزيلتان فضحك بعض الصحابة فقال رسول الله ﷺ : « أتضحكون من دقة ساقيه ؟ والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان

---

(١) البخارى : فى التفسير (٤٧٢٩) ، ومسلم : فى صفات المنافقين (٢٧٨٥ /١٨) .

من جبل أحد » (١) .

وليست الرجولة بالسن ولا بالجسم ولا بالمال ولا بالجاه ، إنما الرجولة قوة نفسية تحمل صاحبها على معالى الأمور ، قوة تجعله كبيراً فى صغيره ، غنياً فى فقره ، قوياً فى ضعفه ، قوة تحمله على أن يعطى قبل أن يأخذ ، وأن يؤدى واجبه قبل أن يطلب حقه ، ولن تترعرع الرجولة الفارعة ويتربى الرجال الصالحون إلا فى ظلال العقائد الراسخة والفضائل الثابتة (٢) .

إن من الرجال فى هذه الأيام من يُسمى أمينا وهو خائن أثيم ، ومنهم من يُسمى طاهرا وهو فى الذنوب والآثام ملوث وغارق ، ومنهم من يُسمى محمداً وهو لا يعرف شيئا عن محمد ﷺ ، ومنهم من يُدعى محمودا وهو ليس بمحمود الصفات ، ومنهم من يُدعى عبد الله وقد أصبح عبداً للدولار والدينار والدرهم .

فهل يعيد للإسلام عزته وكرامته رجال أهمهم أنفسهم وحكمتهم شهواتهم وسيرتهم مصالحهم ؟

إننا فى حاجة إلى رجال كتلك النماذج الكريمة التى صنعها الإسلام على يد رسول الله ﷺ ،رجال يكثرون عند الفزع ، ويقلون عند الطمع ، لا يغريهم الوعد ولا يلينهم الوعيد ، لا يغرهم النصر

---

(١) أحمد (١ / ٤٢١) ، والطبراني : فى الكبير ٩ / ٧٥ (٧٥) ، والحاكم : فى المستدرك (٣ / ٣١٧).

(٢) من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا ص ١٢٥ للدكتور القرضاوى .

ولا تحطمهم الهزيمة .

وإذا كان الرجل من هؤلاء الأحرار إن وُجد فى أمة أحياها من موات وبعثها من رقاد ، فبفقده تموت أمم ، ويهلك خلق كثير ، وهذا ما يؤكده هذا الشاعر :

لعَمْركَ ما الرزيةُ فقدَ مالٍ ولا شاةٌ تمـوتُ ولا بَعيرُ
ولكن الرزيةَ فقـدُ حـرٍّ يموت بموتـه بشــرٌ كثيرُ

ورحم الله الشيخ الشنقيطى حين قال :

فهل فى المسلمين اليوم حر يفك الأسير ويحمى الذمار

ولن يقدر على القيام بهذا الدور إلا الرجال الأطهار ، الذين تطهرت أبدانهم ونفوسهم وقلوبهم ، وسمت أخلاقهم وأرواحهم بالاتصال بخالقهم ، وعمارتهم لبيوت الله ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] .

هؤلاء الرجال وضعوا نصب أعينهم غاية عليا ، وهدفاً أسمى ، ألا وهو نيل رضوان الله والفوز بنعيم الآخرة والنجاة من عذابها ، وعن هذه الغاية لا تلهيهم أعراض الدنيا الزائلة : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ . رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ

الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور : ٣٦ ـ ٣٨] .

ويوم أن تستقر هذه المعانى فى القلوب والنفوس يستقر أصحابها ويثبتون أمام الأعاصير الشمِّ الرواسى ، لا تهون لهم عزيمة ، ولا تلين لهم قناة .

ولله در من قال :

أنا يوم آمنت بالله أحد   لن أذل النفس يوماً لأحد

وهكذا نرى أن هذه العقيدة ـ كما عرضنا من خلال هذه اللمحة الموجزة ـ قد ربت نماذج يحسبها المرء أساطير ولكنها الحقيقة التى هى أكبر من الخيال .

فيا أبناء الإسلام : لا مفر لنا جميعاً من العودة إلى ظلال هذه العقيدة ، ولا بد لنا أن نفىء إليها ، هذا إذا كنا نفكر فى الخلاص من شقائنا وبناء أنفسنا ، وإلا فنحن هالكون لا محالة ، خاسرون فى دنيانا وأخرانا بكل تأكيد .

إن الإسلام يفتح لكم ذراعيه فى حُنو شديد فلا تُعرضوا عنه فإنكم إن لم تكونوا به كان بغيركم ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٨] .

الخاتمة

بعد هذه الجولة السريعة ، وهذه الهمسات والخواطر حول العقيدة ومفهومها وسمات رجل العقيدة ، ثم أثر هذه العقيدة فى حياة الفرد والمجتمع ليس لنا إلا أن نقول :

* إن عقيدة التوحيد معين لا ينضب للنشاط الموصول، والحماسة المذخورة ،واحتمال الصعاب،ومواجهة الأخطار،بل هى سائق حثيث يدفع إلى لقاء الموت دون تهيب ، إن لم يكن لقاء محب مشتاق .

* تلك طبيعة الإيمان والعقيدة إذا تغلغل واستمكن ، فإنه يضفى على صاحبه قوة تنطبع فى سلوكه كله ، فإذا تكلم كان واثقاً من قوله ، وإذا اشتغل كان راسخاً فى عمله ،وإذا اتجه كان واضحاً فى هدفه ، وما دام مطمئناً إلى الفكرة التى تملأ عقله ، وإلى العاطفة التى تغمر قلبه ، فقلما يعرف التردد سبيلا إلى نفسه ، وقلما تزحزحه العواصف العاتية عن موقفه ، بل عليه أن يقول لمن حوله : ﴿ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ . مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [الزمر : ٣٩ ، ٤٠] .

وفى الختام أتوجه إلى العلى القدير أن يتقبل منى هذا العمل ، وأن يجعله فى ميزان حسناتى إنه ولى ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت المراجع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح — عبد الحليم الجندى

٣ ـ أسس فى التصور الإسلامى — د/ محمد عبد القادر أبو فارس

٤ ـ الإصابة فى تمييز الصحابة — ابن حجر

٥ ـ الإيمان والحياة — د / القرضاوى

٦ ـ تربية الأولاد فى الإسلام — د/ عبد الله ناصح علوان

٧ ـ تفسير الظلال — سيد قطب

٨ ـ تفسير القرآن العظيم — ابن كثير

٩ ـ تهذيب سيرة ابن هشام — عبد السلام هارون

١٠ ـ الجامع لأحكام القرآن — القرطبى

١١ ـ حقيقة التوحيد — د / القرضاوى

١٢ ـ السيرة النبوية — ابن هشام

١٣ ـ صفات الداعية النفسية — د/ عبد الله ناصح علوان

١٤ ـ صفة الصفوة — ابن الجوزى

١٥ ـ الطبقات الكبرى — ابن سعد

١٦ ـ طريق الأمناء لتحقيق الوفاء — جاسم بن مهلهل الياسين

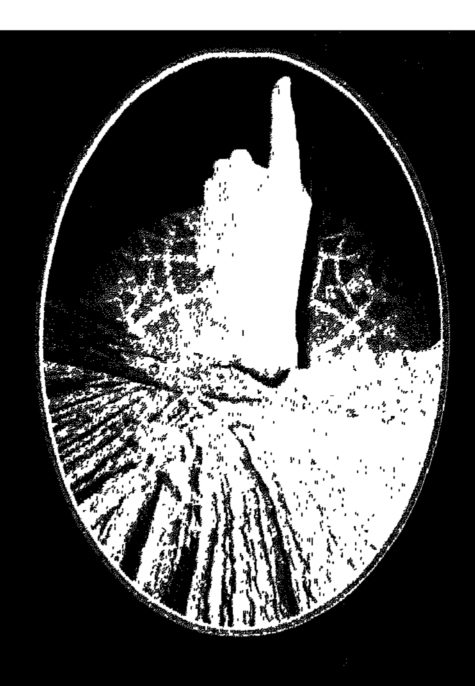
١٧ ـ العقيدة جوهرها وآفاقها — محمد عبد الله الخطيب

١٨ ـ القاموس المحيط — الفيروز آبادى

١٩ ـ من أجل صحوة راشدة	د / القرضاوى
٢٠ ـ من ركائز الدعوة	د / مجدى الهلالى
٢١ ـ من زاد السائرين إلى رب العالمين	عبد الرحمن الجندى
٢٢ ـ من الدراسات الإسلامية	د/ عبد العال سالم مكرم
٢٣ ـ وسائل الثبات على دين الله	محمد صالح المنجد

الفهرس

رقم الإيداع ١٤٩٨٠ / ٢٠٠١م
I.S.B.N:977-19-7328-2



دار المنارة
للنشر والتوزيع والترجمة
المنصورة ص.ب ٣٥٧٢٨ ت: ٣٨٤٢٥٤
ف: ٣١٠٥٠١ / ٠٠٢٠٥٠ محمول / ٠١٢٢٦٠٥٠٤٩